نوال مهنى

أوراق شاعرة

(كتابات نثرية)

الجزء الأول

مقدمــة

كتبت هذه المقالات على فترات زمنية متباعدة ونشر معظمها متنــاثراً فى الصحف والمجلات طبقاً للقضايا المطروحة .

ثم احتفظت بها كذلك دون إضافة أو حذف وبلا تعديل أو تبديل ولذا أعتقد أنها صادقة فى التعبير عن أفكارى وما يجيش بنفسى من اختلاجــات وانفعالات حاملة فى طياتها نبضات روحى فى عفوية صريحة لا زيف فيها ولا تصنع .

وهذه المجموعة من المقالات النثرية تنقسم إلى قسمين بعضها ذاتــى يصور همومى ومعاناتى الخاصة ويصور تجربتى كشاعرة لها رؤاها التــى قد تعترضها صور من المتاعب والعقبات وأيضاً تحفها صور من البهجـــة والتفاؤل التى جبلت عليهما بحكم طبيعة المحبة للحياة .

والبعض الآخر موضوعى يناقش قضايا مثارة ومطروحة تفـــرض نفسها على الساحة الأدبية فلا يجد الأديب بداً عن التعرض لـــها والتعـــامل معها .

وهذه المقالات هى فى مجملها تدور حول قضايا المـــرأة والإبـــداع والتأمل فى الطبيعة والحياة بكل شئونها وشكولها وآمالـــها وآلامـــها ولـــذا أضعها بين يدى القارئ فى ثقة واطمئنان أنها تمثل صورة نفســـى ومـــرآة فكرى وعصارة وجدانى .

المؤلفة

الـــمرأة والإبـــداع

ثمة علاقة حميمة بين المرأة والإبداع . فالمرأة عنصر هام فى العملية الإبداعية لأنها تحتل محاور ثلاثة رئيسية فهى إما ملهمة أو متذوقة أو مـــبدعة . وهذا الثالوث يجعلها تطل برأسها وكيانها من داخل العمل الإبداعي وتتألق فيه فكرا ووجدانا وإذا اتفقنا أن العملية الإبداعية هى بكـــل المقاييس عملية إنسانية بحتة أدركنا أن وجهيها رجل وامرأة ؛ لأن كـــلا مـــنهما يمثل نصف إنسان . غير أنه يحمل النصف الآخر بداخله .

ولعلنا نتذكر قول المبدع الأعظم :﴿ هو الذى خلقكم من نفس واحدة ﴾ ، وعليـــنا أن نـــتأمل أدوار المرأة في العملية " الإبداعية " من خلال المحاور الثلاثة التي أشرنا اليها .

المرأة الملهمة

احتلت المرأة الملهمة مكانة عظيمة في عقل الفنان وقلبه لانها كامـــنة فيـــه فأفاض في تصويرها شعرا ونثرا ورسما وتشكيلا .وإذا كانت الطبيعة هي الملهم الاول للفنان فان الانسان . كما يرى الفلاسفة . هـــو النموذج المصغر للطبيعة بيد أن هذا النموذج يتجلى أروع ما

يكــون في المرأة فهي الخصوبة والمحبة والتضحية والإيثار والملاذ والسكينة . . الخ وبالرغم من تعدد أدوار المرأة في حياة الرجل فهي الأم والــزوجة والأخــت والإبنة . . الخ فان المرأة الحبيبة استأثرت بالقســم الأكبر من اهتمام المبدعين . وإذا أخذنا لذلك مثالا من الشعر وجدنــا الشــعراء أفاضــوا في الحديث عنها ؛ إذ يستمد منها المبدع ســعادته ونعيمه ، فحين تقبل تشرق الحياة بداخله ، وحين تدبر تظلم الدنيا بعينيه وكأنها . أي المرأة . جنة الله في أرضه .

ثم يلي دور الحبيبة في الإلهام دور الأم ، فالأمومة هي أصل الوجــود واستمرار الحياة وتعمير الارض وهي الخصوبة في مقابل الجدب وهي النماء في مقابل الفناء .

فالأم تعطي دمها وأعصابها وعصارة جسدها لجنينها ثم تعطي حنانها وجهدها ووقتها لوليدها وهي تتعهده بالرعاية حتى يصير آنسانا مكتملا .

وهــي في كل هذا منكرة لذاتها غافلة عن حقوقها واحتياجاتها لهــذا كــانت صورة الأم في العملية الإبداعية كما يصورها الشعراء

(عــلى ســبيل المثال) هي العطاء الدائم المتواصل دون ملل ودون إبطاء أو تخاذل

وقــد يرتفع دور الأم أو الحبيبة من الحقيقةإلى الرمز فهي الارض أو الشمس أو الوطن أو الطبيعة بأكملها .

ويأتي دور الزوجة في المرتبة الثالثة بعد دوري الحبيبة والأم وهــو دور يتقــلص كــثيرا عن الدورين السابقين إلا اذا افترضنا أن الزوجة في كثير من الاحيان تقوم بدوري الحبيبة والام معا .

المرأة المتذوقة

وإذا انتقلنا الى المحور الثاني في العملية الإبداعية فنحن إزاء المرأة المتذوقة . والتذوق في اعتقادي . جزء من الإبداع فلو لم يكن المتلقي يملك حسا أدبيا مرهفا وقدرا من الوعي الفني والثقافي لما استطاع ان يحس بالعمل الإبداعي ويتذوقه ويتفهم مضمونه .

اذن لا بد أن توجد لغة مشتركة بين المبدع والمتلقي حتى يكون بينهما تواصل يسمح بانتقال إحساس المبدع وأفكاره الى المتلقي . وطبيعة المرأة الرقيقة تجعلها تميل إلي تذوق الفنون والتأثر بها حتى أنها تعيش معها وبها .

وفي تاريخنا العربي رأينا الكثير من النساء يقبلن على سماع الشعر والغناء والموسيقى ويحرصن على حضور مجالس الأدب .

المرأة المبدعة

والمحور الثالث الذي تحتله المرأة في العملية الإبداعية هو دورها كمبدعة . فأين مكانة المرأة في الإبداع ؟

(الإبداع الفني بأنواعه المختلفة) أقرب إلى الوجدان ، إذ أن خصوبة الخيال هي العامل الفعال في العملية الإبداعية ، فكلما كان الانسان خياليا كان أقرب إلى العاطفة ، والمرأة بحكم تكوينها أقرب الى العاطفة . وذلك جزء من رسالتها في الحياة ؛ لذلك برزت المرأة كمبدعة في جميع المجالات . فهي الشاعرة والكاتبة والعازفة والرسامة بل حتى على مستوى عامة النساء فأننا نجد الغالبية منهم برعن في أشغال النسيج والتطريز والتزيين والتنسيق .. (أليس ذلك فنا ؟)

وقد تألقت أسماء كثيرة لنساء شهد لهن المجتمع بالإجادة . وفي مثال الشعر السالف ، نرى المرأة العربية في عصورها المختلفة قطعت شوطا كبيرا بل كانت رائدة فى هذا المجال ، فالخنساء مثلا برعت في

شعرها بل لقد ناظرت الكثير من الشعراء المعاصرين لها ، وتفوقت عليهم حتى شهد لها الرسول الكريم صلى الله علية وسلم بأنها أشعر أهل زمانها .

ثـم تتابعت الشاعرات والأديبات بعد ذلك حتى أصبحن علامة مميـزة في أدبنا العربي وأصبح للمرأة في عصرنا الحاضر حضور قوي في المنتديات الأدبية وعلى صفحات الجرائد والمجلات

لماذا تأخرت المرأة عن الرجل ؟

ورغم هذا ظل عدد المبدعات قليلا بالقياس إلى عدد المبدعين ، ولعلى أتذكر . في هذا المقام . مقولة لأستاذنا عباس العقاد حين قال : " أن الاستعداد للشعر نادر وهو بين النساء أندر " .

بيـد أني اجدني وجها لوجه إزاء سؤال ملح يقول : هل تأخر المـرأة فـي هذا المجال عن الرجل يرجع إلى قصور فى طبيعتها أم لعوامل اجتماعية فرضت عليها ؟

وأعـتقد أنـني كشاعرة من حقي أن أجيب عن هذا السؤال ، فأقول :

إن المرأة بصفة عامة لا تملك من أمر نفسها ما يملك الرجل . فهي متقلة بأعباء بيتها وأبنائها وقلما تستطيع الفكاك من هذه المسؤولية لمتابعة شؤون إبداعها ، وهي ايضا لا تملك حرية التحرك والوجود في المنتديات الأدبية والمؤتمرات الثقافية .هذا الوجود أمر حيوي يساعدها على الاحتكاك بالمستويات الأدبية المتقدمة ويمكنها من الوقوف على أوجه النقد المختلفة ، وبالتالي معرفة حدود موهبتها وأيضا يحفزها على الاستمرار والتواصل مع غيرها من المبدعين ويفتح أمامها مجالات النشر .

ان المرآة دائما محاطه بقيود صارمة بعضها موروث وبعضها بحكم ظروفها العائلية . وأغلب هذه القيود من صنع الرجل . والرقابة على المرآة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها . أي منعها من حرية التعبير عن أفكارها ومشاعرها . ومحاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها والبحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها .

وهكذا تقف المرأة في معظم الأحايين في موقف دفاعي أمام الرجل المهاجم الذي يريد أن يضعها في قفص الاتهام .

وهذا ما جعل الكثير من المبدعات يتوقفن في منتصف الطريق أو يمارسن الكتابة سرا وكأنهن يقمن بعمل غير مشروع .

المرآة والقيود

لا أظن أن المرآة العربية تضيق بالقيود على إطلاقها ، لأن الكثير من هذه القيود قد نما وتأصل فيها عبر مراحل تربيتها وتعليمها حتى أصبح جزءا أصيلا من تكوينها ، وبالتالي أصبحت سلطة هذه القوانين المكتسبة تمثل التزاما خلقيا يشكل رقابة داخلية تتمثل في سلطة الضمير أو (الأنا الأعلى) وهذا القيد اللاشعوري له دور كبير ، وخاصة اذا كان نابعا من تعاليم الدين بما له من قدسية في النفس .

والسؤال الثاني الذي يبرز في ذهني هل يوجد إبداع أصيل دون حرية الفكر والخيال ؟ والحقيقة التى تفرض نفسها هى أن انتقاء الحرية فى التعبير يؤثر بلا شك على الإبداع . وإذا سلمنا بأن المرأة تعانى من قيود كثيرة تعوق حركتها وتحد من إبداعها وتؤثر بالتالي على إنتاجها ، أدركنا أن ذلك أحد أسباب تأخرها عن الرجل فى هذا الميدان .

إضـــافة إلى هذا يجب أن نضع فى اعتبارنا عنصر الزمن ، فالمرأة حديـــثة عهد نسبيا بالتعليم والعمل والخروج للحياة والتطلع والطموح

إلى تحقيـق ذاتهـا ، وإظهار مواهبها . وإلى عهد قريب جدا كانت المرأة العربية والشرقية (فى العصور الحديثة) لا تخرج اهتماماتها عـند حدود بيتها وشئون أسرتها ، واعتبار الثقافة بالنسبة لها ترفا لا مبرر له ولا حاجة إليه .

والأسـرة العـربية بصفة عامة لا تلقى اهتماما كبيرا لنبوغ إحـدى بـناتها فى مجال ما ، بالقدر الذى يبدوا واضحا إذا نبغ أحد أبنائها .

ولذا كان لازما على المرأة التى تأنس فى نفسها موهبة إبداعية أن تـنميها وتدافع عنها وتتعهدها بالرعاية حتى تورق وتزهر وتثمر وحين إذن سوف يعترف المنصوفون بها ويشهدون لها .

نشرت بمجلة الحرس الوطنى السعودى – سبتمبر ١٩٩٤م .

غاية الغايات

السـعادة .. لفـظ جميل مغلف بكل معاني البهجة والسرور والأمل ، ولكن . . ترى ما هي السعادة ، وفي أي شئ تكون ، وما الوسائل إلى تحقيقها ؟

مـاذا لو طرحنا هذه الأسئلة على عامة البشر وخاصتهم .. ترى ماذا تكون أجابتهم ؟

أعـتقد أنهـم سوف يختلفون كثيرا في تحديد مفهوم واضح أو وضع تعـريف محدد للسعادة . ذلك لأن كل منهم يراها في أشياء غير التي يراها الآخرون وسوف تختلف وسيلة كل منهم في تحصيلها والوصول اليها ، ولكن من المؤكد أنهم سوف يتفقون جميعا في أن السعادة غاية عزيزة الإدراك .

فقـد يقضـي الإنسان حياته كلها باحثا عن السعادة لا هثا وراءها في محاولـة لتحقيقها فيخفق في مسعاه ويكتشف أن كل ما وصل إليه بعد جد واجتهاد ما هو في الواقع إلاّ وسيلة إليها ، ذلك لأن السعادة – كما قال أرسطو – هي غاية الغايات ، وكل غاية سواها ما هي إلاّ وسيلة إليها .

إن الصحة والجاه والسلطان والمال والبنين والنجاح والتفوق وكل ما أوتي الإنسان من نعم الحياة ليس في الحقيقة سوى وسائل للوصول به إلى حالـــة مـــن الرضــا والراحة والإمتاع ، أي إلى السعادة ، حتى العـــبادات هدفهـــا الـــنهائي وغايتها الكبرى سعادة الإنسان في الدنيا والآخـــرة ،ولـــو لم يكن في الآخرة عقاب وثواب ونار وجنة وجحيم ونعيـــم ومـــا يترتب على ذلك من تعاسة أو سعادة لما تعبد أبناء أدم لخـــالقهم ولجرفـــتهم الحياة الدنيا عن التفكير فيما بعدها إذن . .الغاية دائما هي السعادة .

وللســـعادة وســـائل كثيرة تجل عن الحصر . ولكني أعتقد أن الإيمان والفـــنون والحب هم أدوات السعادة الحقيقية . فالإيمان يجعلك صافي الـــنفس نقي الوجدان ، وما يتبع ذلك من قناعة ورضا وأمن وسلام ، والفنون الجميلة من شعر ونثر وموسيقي ورسم ونحت وكل ما ينتمي إلى عـــالم الوجـــدان يوقـــظ فيك المشاعر النبيلة والأحاسيس الجياشة ويجذبك جذبا إلى منابع الحياة لنعيش كانسان ، وما أغنيه بكلمة إنسان كـــل ما يختلف عن الجانب البيلوجي الذي تتساوى فيه جميع الكائنات الحية سواء العليا أو الدنيا منها .

ودراسته العميقة لكل من الشعر والموسيقى أن يلم بالتفاصيل الدقيقة والدقائق الكثيرة ، فجاء مشروعه مكتملا يحوي الشارد والوارد .
ويقدم للشعر وللموسيقى خدمة جليلة .

إن هذا المشروع الذي أسماه صاحبه (مشروع المعمل الموسيقي لعروض الخليل)

ينطلق من إيقاعات الخليل بن أحمد وهو خادم لها ويخرجها من حيث النظريات إلى التطبيق العملي الذي يعين الطالب في دراسته ويجعله يميز بين نغمات البحور المختلفة .فهو وسائل إيضاح إلى جانب الدراسة النظرية ويساعد الطالب على تذوق وهضم مادة العروض الشعري ، هذه المادة الصعبة الجافة بقوالبها المعقدة الشديدة الوعورة التي تعتبر دراستها أمرا عسيرا يصيب الطالب بالمل .

وكما هو معروف فأن العروض مادة صوتية تحتاج إلى التدريب والتطبيق العملي .

لذا نتمنى أن تتبنى هذا المشروع بعض الجهات المسؤلة عن الثقافة والفن والمحافظة على التراث ، مثل المجلس الأعلى للثقافة – جامعة الأزهر – ووزارة التعليم العالي ، فيطبع وينشر ويطبق حتى يمكن

الاستفادة به في الكليات التي تهتم بدراسة اللغة العربية وعروض
الشعر ، وأيضا في معاهد الموسيقي المختلفة .
ففي ذلك خدمة لفن الموسيقى ولعلم العروض ولدارسيه ، لذا نرجو
لمشروع الشيخ د. زكي خطاب أن يرى النور قريبا حتى تعم فائدته
ونجني ثماره .

فحيـــن يســـمو الإنسان بروحه إلى قيم الانسانية الحقة فهو يعلو على قـــالب الطيـــن الذي منه تشكل وأخذ صورته الاولى ويرقى إلى عالم الـــروح ألانهـــائى ، حيث المطلق والخلود ، ويحلق في عوالم الابدية بعيدا عن دنس المادة .

فيتجه إلى حب الحق والخير والجمال والوطن والأهل والطبيعة وكل ما هو جميل في الحياة وكل ذلك يجعله نقيا شفافا فينبعث الضوء من داخله وينعكس على الأشياء من حوله فيرى الكون كله جمالا وبهاء .

ولكن المبدع الأعظم يجعل السعادة أحيانا في أبسط الاشياء أمام أعيننا دون أن نبذل جهدا في البحث عنها ، ولكن لا يفطن اليها إلاّ أصحاب القلوب الرقيقة والنفوس الملهمة .

نشرت بنشرة اتحاد كتاب مصر – سبتمبر ٢٠٠٠م .

لعل اهم ما يميز الشعر عن النثر هو ذلك الايقاع الموسيقي الناتج عن الأوزان الشعرية فتخرج الكلمات من فم الشاعر موقعة تستعذبها الاذن وتطـــرب لها النفس ولذلك عرف الشعر العربي بانه فن غنائي .وقد راقني ما سمعته عن مشروع الشاعر الملحن الشيخ د . زكي خطاب الـــذي ربـــط فيه بين البحر الشعري والمقام الموسيقي ، وقام بشرح المشـــروع وتسجيله على اسطوانات بصوته العذب ، فقدم لنا النماذج الشعرية المختارة مصحوبة بإيقاعاتها الموسيقية ، مستخدما لكل بحر شعري المقام المناسب له .

أن مشروع د . زكي خطاب يخدم دراسة العروض ويذلل عقباتها ،كما انه يخدم كلا من الشاعر والملحن على السواء ، فيجد الشاعر ومضات موسيقية وايقاعات نغمية جديدة ، فتفتح أمامه ضروبا جديدة من الابداع ، وكذلك يجد الموسيقى المعاني الشعرية تتجلى بعد تخفي وتعانق روح النغم فتبوح بأسرارها مما يفتح أمامه مجالات أوسع وأرحب لقد ربط الشيخ . زكي خطاب مقامات الموسيقى ببحور الشعر بعد تقصي جميع صورها ونماذجها . وقد اتاح له اطلاعه الواسع ودراسته العميقة لكل من الشعر والموسيقى أن يلم بالتفاصيل الدقيقة والدقائق الكثيرة ، فجاء مشروعه مكتملا يحوي الشارد والوارد .
ويقدم للشعر وللموسيقى خدمة جليلة .
إن هذا المشروع الذي أسماه صاحبه (مشروع العمل الموسيقي لعروض الخليل)

ينطلق من إيقاعات الخليل بن أحمد وهو خادم لها ويخرجها من حيث النظريات إلى التطبيق العملي الذي يعين الطالب في دراسته ويجعله يميز بين نغمات البحور المختلفة .فهو وسائل إيضاح إلى جانب الدراسة النظرية

ويساعد الطالب على تذوق وهضم مادة العروض الشعري ، هذه المادة الصعبة الجافة بقوالبها المعقدة الشديدة الوعورة التي تعتبر دراستها أمرا عسيرا يصيب الطالب بالمل .

وكما هو معروف فأن العروض مادة صوتية تحتاج إلى التدريب والتطبيق العملي .

لذا نتمنى أن تتبنى هذا المشروع بعض الجهات المسؤلة عن الثقافة والفن والمحافظة على التراث ، مثل المجلس الأعلى للثقافة – جامعة الأزهر – ووزارة التعليم العالي ، فيطبع وينشر ويطبق حتى يمكن الاستفادة به في الكليات التي تهتم بدراسة اللغة العربية وعروض الشعر ، وأيضا في معاهد الموسيقي المختلفة .

ففي ذلك خدمة لفن الموسيقى ولعلم العروض ولدارسيه ، لذا نرجو لمشروع الشيخ د. زكي خطاب أن يرى النور قريبا حتى تعم فائدته ونجني ثماره .

نشرت بمجلة النقابى العربى – فبراير ٢٠٠٠م .

الكلمة أمانة ومسؤولية

(أولا – الكلمة)

في البدء كانت الكلمة . وبعدها بدأ كل شئ وللكلمة في معاجمنا اللغوية تعريف محدد – فهي قول مفرد دال على معنى – أي أن الكلمات صور للمعاني فالعلاقة اذن بين اللفظ والمعنى أو بين اللغة والفكر علاقة تلازميه لا انفصال لها ويستحيل تصور أحدهما دون الآخر سواء كان ملفوظا أو مسطورا ، وكل قول لا بد انه يحمل معنى أي يحمل فكرا أو موقفا . وبالتالى يمثل قضية يتحمل الانسان تبعتها طبقا لما ينتج عنها أو يترتب عليها .

والكلمة هى وحدة البناء اللغوى – فما اللغة إلا مجموعة من الكلمات – ولكل كلمة مفردة معنى عام ومعنى خاص ، وربما يكون للكلمة الواحدة عدة معان ويتحدد المعنى المقصود من هذه الكلمة المفردة من تركيبها مع مفردات أخرى لتكوين ما يسمى بالجملة . والكلمات هى وسيلة الاتصال بين البشر فلولا وجود اللغة لتعذر التواصل والإتصال وتعذر بالتالى تبادل الخبرة والمعرفة وتناقل الأفكار . وقد بدأت الكلمات بسيطة محددة ثم أخذت تزداد أعدادها وتتسع مدلولاتها تبعا

لإرتقاء الإنسان فاللغة بهذا ظاهرة إجتماعية أو جدتها الحاجة للتعامل والتفاعل بين البشر ولكل قوم لغتهم المعبرة عنهم ولكل لغة جما لياتها الخاصة وتراكيبها المميزة ولهذا تعد اللغة من عناصر تكوين الأمة لأنها وسيلة التعبير عن أفكارها وتوحيد مشاعرها وحفظ تراثها.

(ثانيا – الأمانة)

والإنسان حينما يعبر بالكلمة فإنه يصدر عن محتواة الفكرى والوجدانى وعن مخزونة الثقافى الذى يشكل رؤاه ويصوغ آراءة . والأمانة تستلزم الصدق فى التعبير دون الخوف من سلطة خارجية ودون إملاء من أحد ولا يجب أن يوظف الكاتب أو المبدع قلمه لخدمة أغراض لا يؤمن بها ولا يعتقدها وهذا يتطلب أن يكون الكاتب ذا ضمير يقظ ورأى حر – . والكلمة تطلق مجازا على كل قول يصدر عن الإنسان فمن يسخرّ فكره لخدمة أتجاه أو مذهب معين بغرض الجرى وراء المكاسب والمنافع دون اقتناع ودون وجه حق أو مجاملة للبعض على حساب الآخرين إنما يكون قد خان نفسه ومن يخن نفسه لا يؤتمن على شئ .

والأمانـــة كمـــا نعلم تقابلها الخيانة ، والمبدع ينبغى أن يكون له مبدأ واضـــح وعقيدة ثابتة لا تناقض فيها وأن يلتزم بما يعتقده قولا وفعلا فى حياته فإن فعل ذلك فقد فهم فلسفة الحياة وصار فيلسوفا فى مجال فكره وفنه .

(ثالثا – المسئولية)

والأمانـــة تلقى على عاتق صاحبها مسئولية كبيرة وأعباء جسيمة فمن حمل الأمانة مختارا كان لزاما عليه تحمل تبعاتها فقد يتعرض صاحب الأمانة لمتاعب جمة وتضحيات بالغة . قد تصل لحد النفى أو التشريد أو مصـــادرة حقوقه المدنية والحجر على آرائه – وقد تصل إلى حد تهديـــد حياتـــه وتقييـــد حريته . ولكن عبء المسؤلية الثقيل لن يمنع صـــاحب الكـــلمة وحامل الأمانة من التصدى لجحافل الظلام ودعاة الهـــدم حتى ينبثق النور وينتصر الحق من أجل خير الإنسانية . فهذا هو دور المخلصين الصادقين من أصحاب الكلمة الذين حملوا الأمانة ونهضـــوا بالمسئولية دفاعا عن قيم الحق والخير والجمال – فالكلمة أمانة ومسئولية *

نشرت بنشرة اتحاد كتاب مصر – ديسمبر ٢٠٠٠م .

(الرواية تتسلق على أكتاف الشعر لتزعم أو سمته .)

مـــن القضايا الادبية المطروحة للنقاش قضية الشعر أم الرواية ديوان العــرب الحديــث ؟ حيــث يستمر الجدل بين أنصار الشعر وأنصار الرواية وكأنها نقيضان لا حياة لأحدهما في وجود الآخر.

وفحوى القضية هي محاولة إقصاء الشعر عن مكانته وتجريده من هذا اللقب السامي الذي ظل يحمله على كاهلة ويزهو به لقرون عديدة .

وقد بدأ الصراع – في حدود علمي – حين أطلق أحد النقاد المعروفين مقولته الشهيرة – أن الرواية هي ديوان العرب المعاصر – وتلقف هذه المقولة نفر غير قليل من –انصار الرواية بالطبع– لاستغلالها في الترويج للرواية على حساب الشعر .

وهذه المقولة تنطوي على مغالطة كبيرة فاللقب الذي ارتبط بالشعر إرتباطا وثيقا وتاريخيا لا يمكن سلبه بهذه السهولة لمجرد أن الشعر تراجع قليلا في حين ازدهرت الرواية في حقبة زمنية قصيرة بفعل أسباب كثيرة – منها تدهور مستوى اللغة العربية وظهور حركات مخربة ينسب أصحابها انفسهم إلى الشعر وهو منهم براء . ثم ذيوع الرواية والقصة من خلال التمثيل في السينما والتليفزيون بما لهما من

جاذبية خاصة وسعة انتشار ثم إنصراف الناس عن القراءة الجادة نتيجة لمادية العصر أضف إلى ذلك أن الشعر يتطلب توافر قدر من الثقافة وحسن التذوق لدى المتلقي ، ورغم هذا فالشعر يعد أرقى فنون القول وسيدها لدى جميع الأمم ، فما بالنا بالشعر العربي الذي يكتب بافصح اللغات وأجملها وأكثرها ثراء في المفردات والأوزان .

الشعر ديوان العرب بمعنى أنه سجلهم الحافل بأحداثهم الحاوي لأمجادهم وتفاصيل حياتهم وهو الكنز الثمين الذى حفظ تراثهم من الضياع ،وهو فن العربية الأول الذي نبغ فيه العرب فجاء إبداعهم فيه معجزة على غير مثال ومجدا لايدانيه مجد .

ولعلنا نتذكر قول أبي فراس الحمداني :

{ الشعر ديوان العرب أبدا وعنوان الأدب}

فالشعر العربي إذن هو عنوان الأدب العربي كله وهو فن العرب الخالد وهو القول البليغ الجميل الساحر الذي يسبي الالباب ويستميل القلوب . . ثم أن الشعر يمتلك من المزايا ما لا تمتلكه الرواية أو أي فن آخر من فنون اللغة .

هل نستطيع أن نستشهد بسطر من الرواية في المواقف الحياتية المختلفة كما هو الحال مع البيت الشعري ؟

هل يمكننا تلحين الرواية وغناؤها كما نفعل مع القصيدة ؟

هل تملك الرواية الموسيقي الموجودة في الشعر ؟ بمالها من وقع على نفس المتلقى ؟

هل تملك الرواية التكثيف الشديد فى المعانى مثل البيت الشعرى الذى قد يتسع لعدة قضايا . ولنأخذ مثالا لذلك عن الشوقيات .

والدين يسر والخلافة بيعة والأمر شورى والحقوق قضاء

لقد جمع الشاعر أوكاد مبادئ الإسلام الأساسية فى بيت واحد من الشعر إن الشعر وعاء عميق متنوع يحوى القصيدة والموشحة والأنشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التى تحوى بداخلها القصة ثم إن بيت الشعر يحوى الحكمة والعبرة والفكاهه والمثل إلى آخره وإذا كان بعض المتشاعرين . والأدعياء يضيقون بقواعد الشعر أو قيوده فذلك لعيب فيهم وهو دائما عيب من يحاول ما لا يستطيع فينتهى إلى الهدم .

ثم أن النثر مهما ارتقى لا يبلغ مرتبة الشعر مطلقا وسيبقى الفضل للشعر لأنه فن صعب محكوم بضوابط تحتاج إلى قدرات خاصة لا يملكها الناثر و من البديهى أن كل شاعر أديب وليس كل أديب شاعر فالشاعر هو ضمير الأمة ولسان المجتمع المعبر عن آماله و آلامه وأفراحه وأحزانه.

إن كاتب الرواية أو القصة حينما يرتقى ويسمو ويتجلى ويصل إلى ذروة الإبداع يقال عنه أن لغته اقتربت من الشعر أو أصبحت شاعرية (تجاوزا).

لسـنا ضـد الرواية أو غيرها من الفنون بل ينبغى أن تتكامل جميع الفـنون كفـروع لشجرة الإبداع الإنسانى من أجل الارتقاء بالأذوق وتهذيـب المشاعر وتغذية الوجدان وترسيخ القيم وجذب الإنسان إلى مـنابع الحيـاة حتى لاتجف المشاعر بداخاه واذا كان انصار الرواية يبحـثون لهـا عـن لقـب فلديهم فى لغتنا الجميلة متسع من الألقاب ولاداعى للتسلق على اكتاف الشعر لنزع أوسمته التى نالها عن جدارة لمجرد أنه يمر بأزمة أو معاناة مرحلية

نشرت بالأهرام ١/٩/١٩٩٨م .

(لغة الشعر بين الفصحى والعامية)

لعــل مــن أوضح الأمور وأكثرها جلاء لكل ذى عقل – أن الإبداع الــراقى يكتب بلغة راقية ذلك لأن الفن الرفيع يحتاج بالضرورة إلى لغة رفيعة .

ولمــا كــان الشعر أسمى وأرقى فنون الكلمة كان لابد أن يكتب بلغة خاصة يطلق عليها أهل القريض أصطلاح (اللغة الشاعرية)

فالشاعر يعيد بناء اللغة بناء خاصا ، ويستعمل الكلمات – أحيانا – في غير مدلولاتها الحقيقية وينطلق من أسر الواقع الى الخيال في سياحة وجدانيــة تشف خلالها روحه ، ويرقى وجدانه وتسمو مشاعره فتأتي تعبيراته متسقة مع نوع الانفعال المسيطر عليه وطبقا لحالته الشعورية و لكــل أمــة فنونها وآدابها التي تتواءم مع لغتها ومع ميول وأذواق شــعوبها . واللغة العربية من أكثر اللغات جمالا وثراء وأوفرها عددا في المفردات والأوزان الشعرية .

ولقــد حافظت على بقائها وازدادت قوة واتساعا بفضل القرآن الكريم الــذي نــزل بلســان عربي فصيح وهو بلا شك المدرسة الحية للغة العربية – الباقية إلى يوم تقوم الساعة .

والشعر العربي – كما ورثناه عن أصحابه من أرباب البلاغة والفصاحة وهم العرب – كان ذروة البلاغة والفصاحة عندهم وتلك خاصية لا يطاوله فيها قول من أقوال البشر .

وفي عصرنا الحاضر تعددت اللهجات المحلية بتعدد الاقطار العربية مكونة ما يسمى بالغة العامية وهى اللغة التى يتحدث بها العامة في حياتهم اليومية وبقيت اللغة العربية رغم ذلك كله اللغة الرسمية لجميع الدول العربية في دواوين الحكومة ودور العلم والمساجد (كما ظلت لغة الكتابة في الكتب والصحف والمجلات) وبديهي إن ما يكتب بالفصحى بفهمه من يتحدث هذه اللغة – أي ان المتحدث بلسان عربي فصيح يخاطب كل العرب بل ومن يتحدث العربية من غير العرب ، فاللغة العربية اذن لغة العرب جميعا بينما العامية لهجات محلية محدودة .

فما يكتب بالعامية المصرية قد لا يفهم بالمغرب وكذلك وما يكتب باللهجات السودان والخليج والسعودية . . إلى آخره .

ومن هنا نفسهم لماذا يحرص الاستعمار على تفتيت اللغة القومية وإحياء اللهجات المحلية ؟ الاجابة لأنه يدرك تماما أن اللغة من أهم

عوامـــل الـــتوحد والتآلف بين الشعوب ، ولأن تفتيت اللغة هو تفتيت للســـان العربي والوجداني العربي مما يباعد بين الاشقاء ويفرق شمل الأمة .

وإذا كـــان مـــن الضروري وجود لهجات محلية تناسب العامة وتسير حيـــاتهم وتكتب بها بعض الفنون الخاصة- بالاقليم ونحن لا نقلل من أهميـــتها عـــلى المستوى المحلي - ولكنها بالتأكيد ليست بديلا عن الشعر فن العربية الاول ويجب الا تكون على حساب اللغة العربية - لغة القرآن الكريم والحديث الشريف ولغة العرب القومية .

وأعود فاكرر أن الأدب الرفيع يحتاج بالضرورة إلى لغة رفيعة .

نشرت بالأهرام ٣٠/٣/١٩٩٩م .

(أتحاد الكتاب والكيانات الصغيرة)

يتحاور أعضاء اتحاد الكتاب وقيادته ممثله في رئيسه وأعضاء مجلس إدارته حول كيفية النهوض بهذا الكيان الشامخ الذي يشرف كتاب مصر ومبدعيها بالانضمام اليه والوقوف تحت لوائه .

الجميع يتحاورون من أجل الارتقاء بهذا الكيان العزيز ومن أجل الوصول به ومعه إلى أفضل ما نرجوه له ولنا .

تكثر الاقتراحات وتطرح الأفكار وتدور المناقشات ومن الطبيعي أن كل اقتراح أو فكرة لها مؤيدون ومعارضون ولا تثريب على مؤيد أو معارض فالجميع يجتهدون في إخلاص شديد لخدمة اتحادهم والعمل لصالحه .

ومن بين الأفكار التي طرحت مؤخرا الدعوة إلى انشاء فروع للاتحاد فـــي المحافظـــات المختلفة ، وربما كان وراء هذه الفكرة دافع مقبول وهو بعد المسافة بين الاتحاد الرئيسي في العاصمة وبعض المحافظات / ممـــا يجعـــل تواصل الأعضاء مع اتحادهم ضعيفا للغاية ، ومرهقا ومكـــلفا في حالة السفر ، وتبدو الفكرة للوهلة الاولى جيدة على الأقل فـــي بعض جوانبها ، لكن بشئ من التأمل تتبدى أمامنا مجموعة من

المصـــاعب والمتاعب سوف تنشأ كنتيجة حتمية لتطبيق هذه الفكرة . وهــذه المـــتاعب بإمكانهـــا أن تعكــر صفو الإتحاد كله . وأول هذه المـــتاعب : هــو أن إنشاء مثل هذه الفروع الكثيرة يعتبر تفتيتا لكيان الاتحاد الكبير إلى كيانات صغيرة متناثرة وهذا بالطبع يضعف الاتحاد الرئيسي ويؤثر سلبيا في قدراته .

وثانيهمـــا : أن عـــدد أعضاء الإتحاد في كل محافظة . عدا محافظة الاسكندرية – لا يزيد على أصابع اليدين في أحسن تقدير ، وهذا العدد الضـــئيل لا يصنع فرعا قويا ينتظر أن يكون له دور مهم في حياتنا الثقافية

وثالـــثها : أن هذا العدد الضئيل في كل محافظة تستوعبه أندية الأدب فـــي قصـــور الـــثقافة أو الجمعيات الأدبية الاقليمية التي تضم أدباء المحافظـــة ، وهـــم أكـــثر عددا ة من أعضاء الأتحاد حيث أن بعض الادبـــاء ليســـوا أعضـــاء في الاتحاد ولكنهم أعضاء في أندية الثقافة والجمعيات الأدبية الاخرى .

ومعـــنى ذلك أن أدباء المحافظة بمن فيهم أعضاء الاتحاد موجودون معـــا فـــي كل الأنشطة الأدبية والثقافية ولن يضيف لهم شيئا أن يزيد عدد اجتماعاتهم اجتماعا اخر تحت مسمى اتحاد الكتاب

ورابعهما : أن هذه الكيانات الصغيرة سوف تنتخب من بينها مجلس إدارة اتحاد الكتاب وتحتاج إلى ميزانية ،

إلى آخره ، وربما تسربت الشللية وتدخلت المحسوبية كما يحدث في المواقع الثقافية الأخرى وما يترتب على ذلك من خلافات وخصومات بين الأعضاء . وخامسها : عدم وجود أماكن خاصة ملك لفروع الاتحاد تعقد بها الندوات ومعنى ذلك أن اجتماعات وانشطة هذه الفروع سوف تعقد وتقام في أماكن مختلفة وهذا بالطبع سيشعر الأعضاء بعدم الاستقلالية لأنهم ضيوف على المكان الذي من الممكن أن يحتاج اليه أصحاب في أى وقت .

لذا أعتقد انه من الافضل للاتحاد أن يظل كيانا واحدا قويا كي يتفرغ للقضايا الكبرى التي تهم جميع الاعضاء ولا داعى لتفتيت هذا الكيان الكبير إلى كيانات صغيرة تستنفد وقت وجهد المسئولين بما ينتج عنها من مشاكل صغيرة ، واذا كان ولابد من انشاء فروع للاتحاد فيجب

الاقتصار على انشاء فرع بمحافظة الاسكندرية بما لها من وضع خاص حيث يزيد عدد الاعضاء بها على مائة وثلاثين عضوا – في حدود علمي – وايضا لانها تعتبر العاصمة الثانية للجمهورية ومن اكبر مدنها بعد القاهرة . وبعد فهذه محاولة لالقاء الضوء على قضية ما زالت ماثلة أمام الاتحاد ونتمنى لاتحاد كتاب مصر ولأعضائه الرفعة والازدهار الدائمين .

نشرت بالأهرام ٢٢/٦/١٩٩٩م .

(الشعر شعر والنثر نثر هذه هي القضية)

طـوال مسيرة الادب العربي الطويلة منذ العصر الجاهلي وحتى الان ونحن نعرف أن الشعر شعر والنثر نثر . فكل منهما فن مستقل بذاته لـه أصـوله وقواعده المتعارف عليها ولا ينبغي الخلط بين الأجناس الأدبية .

وبمـرور الزمن يزداد التخصص وتظهر فنون جديدة هي في الحقيقة روافـد مـن المنبع الاصلي تستمد وجودها منه وليست بديلة عنه ، والفـن بطبيعـته ظاهرة انسانية قابلة للتطور ، ولذلك خضع الشعر العربي خلال مسيرته لمراحل من التطور وظهرت به فنون جديدة لم يعـرفها الجاهـليون ، وكـان الشعر يرتقي ويزدهر حينا ويضعف ويضمحل في حين آخر بفعل عوامل وظروف كثيرة لا مجال لذكرها الآن أو الخوض فيها .

ولكن البقاء دائما للأصلح فبعد مراحل الضعف كان الشعر يعود حيا نابضـا بفضل جهد النابغين المخلصين من اصحاب المواهب الحقيقية وبمساعدة عوامل أخرى تزامنت مع هذا الجهد .

وبرغم هذا ظل الشعر شعرا والنثر نثرا ، ثم ظهرت في عالمنا اليوم بعـض الجماعـات التي تنادي بهدم الحواجز بين الشعر والنثر وقيام مشـروعهم الجديـد المسـمى بقصـيدة النثر - ذلك اللون الغريب المتـناقض الذي ظهر أول ما ظهر في لبنان على أيدي مجموعة من الرافضين سموا أنفسهم شعراء الرفض فهم رافضون للعقل والمنطق والدين والشريعة وقيم وأعراف المجتمع وهم أيضا رافضون لكل نظام يتعـلق باصـول القصيدة العربية وينظرون إلى التراث باحتقار شديد عـلى اعتبار انه سبب تخلفنا . أما هدفهم فهو التحرر والإباحية وهدم كل ما هو أصيل ومقدس ، والجنوح إلى الإبهام والغموض والعبث - واقامة مجتمعهم الحداثي الجديد كما يقولون - زاعمين انهم اتوا بما لم يستطعه الأوائل .

وحقيقـة الأمـر أن هـذه الحركة الخبيثة التى سادت الشعر العربي بخاصـة والأدب العربي بعامة وهي إن بشر بها بعض دعاة التغريب وذوي الميـول الأجنـبية والعمـلاء ، فقد تابعهم نفر غير قليل من الأدعيـاء وفقـراء الموهبة الذين وجدوا فيها من اليسر والسهولة ما

يجنبهم مشاق العروض والقوافي واتقان اللغة ودراسة التراث وما يحويه من تاريخ وفلسفة .

لقد أراحوا انفسهم من العناء والجهد ، اذ يكفي أن يمسك أحدهم بالورقة والقلم ويسجل ما يدور بذهنه من هلاوس ورغبات وخزعبلات ثم يخرج علينا مدعيا أنه كتب قصيدة نثر - ولست أدري كيف يكون النثر قصيدة ! وتحت يدي نماذج كثيرة من هذه الكتابات ويعف قلمي عن إيرادها أو كتابتها حياء وخجلا لما تحويه من تفاهة وإباحية مقززة وألفاظ هابطة مبتذله وأسلوب رخيص يروج للرذيلة ويدعو للفساد وتنم عن ذوق فاسد ونفوس مريضة - وأرى تصنيفها ضمن كتب الجنس فلا علاقة لها بالأدب على الاطلاق فقد نسى هؤلاء أن الكلمة أمانة ومسئولية وأصحاب هذا الاتجاه ما برحوا يفاخرون بأنهم يتبعون الأنماط الاوروبية ونسوا أو تناسوا أن ما يصلح في الغرب قد لا يصلح في الشرق . وهم أيضا يفاخرون بأنهم نبت شيطاني لا جذور له وأن قصيدتهم المزعومة لا هي نثر ولا هي شعر بل هي بين بين أي انها لقيط وخنثى فلا أب لها ولا جنس لها .

والغـــريب أن كـــتاب مـــا يسمى بقصيدة النثر يتهمون القراء والنقاد بـــالجهل لعـــدم فهم كتاباتهم الغريبة المريبة وهم يخاطبون الناس من موقع إرهابي ولسان حالهم يقول إما أن تفهم ما لا يفهم وإما أن تكون جـــاهلا . . وهـــذا منطق مريض مولع بالسادية فكتاباتهم إلى جانب إفـــتقارها للموسيقي والخيال وإلى أبسط قواعد الفن وأصوله لا معنى لهـــا ولا تسلســـل منطقي يحكمها ولا يستطيع القارئ ان يخرج منها بشـــيء ذي بـــال إلى جانب مفرداتها الحافلة بالسخرية من المقدسات ومـــن الـــذات الالهيـــة ، فأغـــلب هذه الكتابات مليئ بالكفر والإلحاد والهلاوس ثم يزعمون إنها حل عبقري لمشاكل الإنسان إن هذا اللون من الكتابة لا يحتاج إلى قدرات خاصة بل بامكان أي انسان مهما قل شأنه وهبطت ثقافته وضعفت قدراته أن يدعي أنه شاعر – لأنه يكتب قصيدة النثر – حيث لا ضوابط ولا موهبة ولا إبداع .

فهـــل من الضروري أن يصبح كل الناس شعراء ؟! إن الشعر ملكة وهـــبها الله لبعض الناس ولم يهبها لكل الناس ومن أهم أسباب انتشار هـــذه الموجـــه الضـــبابية من الكتابة هو أن مجلاتنا الثقافية والأدبية المتخصصـــة تحـــتفي بها وباصحابها لأن القائمين عليها ينتمون لهذا

الاتجـــاه أو يتبـــنونه لأسباب غير معلنة فقد تكون مجاملة للبعض أو لمصلحة خاصة أو لتصفية حسابات مع الآخرين أصحاب الاتجاهات المعارضة .

وكذلـــك يفعـــل بعـــض النقاد والشعراء المعروفين ويكفي أن شاعرا معـــروفا كان يروج لهم من خلال مقالة الاسبوعي في جريدة الاهرام أعـــرق الصـــحف العربية وأوسعها انتشارا " حتى أنه سماهم أحفاد شوقي لكي يضفي عليهم شيئا من الشرعية وكان هذا الشاعر قد قصر إحـــدى المجلات وهو رئيس تحريرها عليهم فهبط توزيعها وانصرف عنها القراء " .

كـــل هذا بالطبع أدى إلى انتشار هذه الكتابات واستفحال خطرها الذي استشـــري فـــي جسد الشعر كالسرطان والإيدز أو اشد خطرا بقى أن تقول : أن دوحة الشعر الاصيل الضاربة بجذورها في التربة البازخة بفروعها إلى العلاء سوف تبقى شامخة حتى إن نفضت أوراقها بعض الوقـــت فسوف تعاود الإخضرار من جديد لانها تملك مقومات البقاء وهـــي بالطبع تختلف عن ذلك الطحلب الطافي الذي ينساق مع التيار

مـــثل السمك الميت دون إرادة فيدفعه التيار أني يشاء وتقذفه الأمواج أني تريد ثم لا يلبث أن يتعفن ويتحلل .

(فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .. ")
صدق الله العظيم .

نشرت بجريدة الأهرام ١٤/٣/٢٠٠٠م .

كتاب فى ميزان النقد
للحق والنهضة والجمال

أجمل ما قرأت فى الأسابيع الأخيرة هذا الكتاب الذى يحمل عنوان – لـــلحق والنهضـــة والجمال– للباحث الأديب عبد اللطيف الجوهرى . والمؤلف شاعر سكندرى له حضور قوى فى الساحة الأدبية والفكرية وله عدة مؤلفات بعضها أبحاث وبعضها دواوين شعرية .

ويشتمل الكتاب على ثمانية أبواب تستوعب مقالات مختارة فى ظلال القرآن والتيارات الفكرية وقضايا الدستور الاسلامى كما تحذر مـــن خطـــر التعـــليم الأجنـــبى فى الـــبلاد الإسلامية والغزو الثقافى والاستلاب الفكرى ثم يتطرق إلى موضوع شائك وهو عبادة الشيطان قديما وحديثا مبينا آفاقها فى البيان القرآنى والتاريخ الانسانى ويحتفى بالنماذج الفذة من عباقرة الامتين العربية والاسلامية ونابغيها فى العلم والادب والدعـــوة كمـــا يضم دراسات أدبية لنماذج من عيون الشعر العـــربى وكذلـــك تضمن الكتاب بعض القراءات الدينية التى أختيرت بعيـــن فاحصة ترصد وتنتقى وتختار ثم تقدم لنا هذه الباقة اليانعة من كتب الثقافة الرشيدة يقول المؤلف

تـــنحاز درسات هذا الكتاب هذا الكتاب إلى الثقافة والنهضة والتنوير والمشروع الحضارى

العربى والإسلامى وتدعو إلى وجوب الحوار بين أبناء الامة لمواجهـــة ثقافة الهيمنة والاحتواء وجنود الردة الحضارية والذبان فى ثقافـــة القـــوى المستعلى بفلسفته المادية وقيمته الأستهلاكية وقد حفل الكتاب بأسما مضيئة من أعلام العروبة والاسلام وما قدموه من جهد وجهـــاد فى صبر وايمان ومنهم على سبيل المثال الشاعر الفيلسوف محمد إقبال ونقتطف هذه الفقرة من خطابة الذى وجهه إلى العرب منذ اكثر من ستين عاما مخاطبا إيامهم مستنهضا عزائمهم حيث يقول لهم (إن الله قـــد رزقكم البصيرة ولا تزال فيكم الشرارة فقوموا إليها أيها العـــرب وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى إن منبع القوة ومصـــدرها هـــو الديـــن منة يستمد المؤمن العزم والأخلاق واليقين) ومازال هذا الرأى صالحا بل ما أحوجنا الية فى عصرنا الراهن .

كذلـــك لفـــت نظـــرى الاشارة إلى كتاب – كشف اللثام عن رباعيات الخيام للعلامة أبو النصر مباشر الطرازى التركستانى الذى أثبت فيه بما لايدع مجالا للشك أن رباعيات الخيام الشهيرة نسبت إلى

عمر بن إبراهيم الخيام النيسابورى وأنها منحولة ومدسوسة علية وقد اعتمد فى بيان ذلك على أوثق الأسانيد وكتب التراث المعتمدة ويخلص إلى أن الخيـــام كـــان فلكيا وفيلسوفا وعالما رياضيا ولم يكن شاعرا كبيرا .

وكان شديد التدين متفوقا فى القراءات فكيف يكون ماجنا ملحدا ؟! ويعاضـــده عـــبد الطيـــف الجوهرى مستعرضا الأسباب والنتائج والملابســـات التى أحاطت بحياة الخيام ومعاصريه وخصومة ويتضح مـــن مطالعة الكتاب أن المؤلف مهموم بقضايا أمته وهو بهذا الكتاب يضـــع يـــده أو كاد موضع الداء محاولا ايجاد الدواء الناجع ويدعوا الآخرين إلى التكاتف من أجل النهوض بهذا العبء فى خدمة الوطن مما يجعل لهذا المؤلف قيمة فكرية وأدبية كبيرة .

نشرت بالأهرام ١/٨/٢٠٠٠م .

لماذا هذه الهجمة الشرسة على الاخلاق ؟!

الكلمات كما يرى الفلاسفة أوعية للمعانى : بمعنى أن كل ما ينطق به المـــرء أو يسطره من كلمات إنما يدل على محتواه الفكرى والثقافى فى الدين والقيم والعادات والتقاليد والميول والرغبات والأخلاق . أى أن كـــل مـــا يصدر عن الانسان من سلوك إنما هو نوع من الإسقاط يعكس ما بداخله وكل إناء ينضح بما فيه : وبالطبع لايعقل إن ننتظر الحصول على الرحيق والعطر من إناء مملوء بالعطن والعفن .

وفى الآونة الاخيرة كثرت الكتابات الغثة والرديئة سواء فى القصة أو مايســـمى بقصـــيدة النثر : ولست ادرى اية قيمة فنية فى هذا السرد المخجل الحافل بالاباحية والفحش ؟!

إنـــ بإمكان أى ماجن أو منحرف إن يسطر مثل ذلك واكثر ..فالامر لايحتاج إلى موهبة أو قدرات خاصة .

وتتمثل خطورة هذه الكتابات فى جنايتها على الأخلاق .. فبقاء الامم مـــرهون بـــبقاء أخلاقهـــا (إنما الامم الأخلاق ما بقيت)إن مثل هذه الكتابات تنشر الفساد فى المجتمع وتمهد للرزيلة وتدمر القيم .كما أن كـــتّاب الإباحيـــة بأسلوبهم هذا يستجدون القارئ عن طريق إثارته ،

وإيقاظ الغريزة البهيمية فيه وما ذلك إلا لافتقادهم إلى الموهبة الحقيقية أو لافتقادهم إلى الدين . والأخلاق أو الاثنين معا – إن أصحاب هذه الكـتابات الهابطـة فنيا وأخلاقيا هم فى نظر الدين فسقه ، وفى نظر المجتمع منحرفون أما فى نظر علم النفس فهم مرضى وفى حاجة إلى العلاج النفسى حتى يعودوا إلى السواء .

ان هذا النموذج من الكتاب (غير الطيب وغير الصالح)
مـن أصحاب هذا الاتجاه يعيثون فى الأرض فسادا ، بينما يجب على الأديب ان يكون قدوة صالحة فى المجتمع . إن الأدب الرفيع شعرا أم نـثرا يخاطب المشاعر والعواطف النبيلة ويسمو بها فيهذب الاخلاق ويقوم النفوس ويرتقى بالأذواق ولعلنا نتذكر قول سيد المرسلين علية الصـلاة والسلام (لكل دين خلق وخلق هذا الدين الحياء) وقوله (الحيـاء شـعبة من شعب الإيمان) ولنا أن نتساءل بعد كل هذا أى فـائدة ممكن أن تعود على القارئ أو المجتمع من هذا البعث ؟ ! إن الأدب فى اعتقادى لا ينفصل عن الجانب الأخلاقى .

إنـنى أدعو حملة الأقلام وبخاصة الأدباء والشعراء ان يكونوا أحجار بـناء لا معاول هدم . ولكننا نرى من بينهم من لا يستحى من الدعوة

إلى الرذيلـه والسـقوط إلى الهاويـة . وإذا لم تستح فافعل ما شئت ويصـدق فيهم قول المولى عز وجل فى محكم آياته . ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسـدوا فى الأرض قـالوا إنمـا نحـن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ صدق الله العظيم .

نشرت بمجلة النقابى العربى - ١٩٩٧م .

غربة الشعراء

أقســى مــا يؤرق الشاعر هو شعوره بأن نهر الابداع بداخله قد جف ونضــبت يــنابيعه وأن رياض الشعر قد خوت على عروشها وذبلت أزاهيــرها وتســاقطت اوراقها وأن جذوة المشاعر قد خمدت وفقدت بــريقها وتوهجهــا . واستحالت الجنة الوارفة إلى غابة موحشة . ما أقســى هــذه الغــربة التى يعانيها الشاعر حينما تهجره بلابل شعرة فيــتوقف تدفق المعانى ويقف القلم بين أصابعه وكأنه فقد الحياة ، فلا نــبض ولا شعور . ولعل أهم ما يؤرق المبدع ويعمق من غربته هو عدم فهم الآخرين له أو تقديرهم لمشاعره . ذلك لأن المبدع هو بشكل أو بآخر ذو تركيبة نفسية خاصة تختلف عن عامة الناس فأحيانا يكون هادئا سلسا وأحيانا يكون حادا قلقا ، إنه سريع التأثر شديد الحساسية . وقــد ينشــغل عــن الآخرين ولا يشعر بوجودهم أو يميل إلى العزلة والوحــدة لأنه فى حوار مع نفسه أو مع الطبيعة أو القلم والأوراق . ولعــل لحظات الإلهام التى يتغرب فيها الشاعر عن الآخرين تعد من أخصب لحظات حياته وأكثرها ثراء وأعمقها أثرا وأروعها إبداعا وقد يشــعر المبدع بفقدان الزمن وكأنه أفلت من عقارب الساعة ودورات

الشـــمس والـــنجوم وبالتالى يختلط لديه الماضى بالحاضر بالمستقبل نـــتيجة لاخـــتلاط الـــتذكر بالواقع وبالخيال وتمتزج فى رؤاه اللحظة الماضية بالآنية بالآتية وتنتابه حالة من عدم التوازن وكأنه خرج من نطـــاق الجاذبية الأرضية فى فضاء غير متناهى وهكذا تستمر معاناة الشـــاعر وخاصـــة فى مرحـــلة التكوين الإبداعى حيث المادة بداخلة هلامية لم تتحدد ملامحها بعد .

نشرت بجريدة الزمان ١/٦/١٩٩٩م .

بعد التحية

عزيزتى بنت المنيا

مـــن أجلك أنت نقدم هذه الصفحة التى تهتم بقضاياك وتعنى بشئونك وقضايا المرأة فى العصر الحديث كثيرة وشائكة ، والملاحظ أن اكثر فتياتـــنا المتعـــلمات يهجرن الاطلاع ومزاولة أى نشاط ثقافى بمجرد تخـــرجهن مـــن معاهد العلم وجامعاته واعتبار أن دورهن فى الحياة ينحصر فى أعمال المطبخ ومتطلبات الوظيفة . وهذا بالطبع دور هام وضرورى ولاغبار علية ، ولكن هذا الدور تتساوى فيه جميع النساء المتعلمات وغيرهن ، والمطلوب من المرأة المتعلمة أن يكون لها دور بـــارز فى الحياة الثقافية مثل الاهتمام ببعض الهوايات المفيدة والتزود بالـــثقافات المختلفة وحضور ندوات الفكر والأدب ، وقد كانت المرأة العربية فى العصر الجاهلى ترتاد مجالس الأدب ومنهن النابغات مثل الخنساء الشاعرة وأم جندب التى حكمت فى مناظرة بين امرئ القيس زوجهـــا وعلقمة التميمى . فالاجدر بالمرأة الجامعية ان تهتم بالثقافة والأدب ولاتنظر للثقافة على إنها ترف لا مبرر له ولا حاجة الية

نشرت بجريدة صوت المنيا – مارس ١٩٩٣ .

(نبت شيطانى .. ليس شعرا !!)

يا زمان الشعر هلا من رجوع – كنت لحناكم تغنى فى الربوع

ذكرنى هذا البيت المعاصر ببيت آخر لفارس بنى حمدان يقول فيه :

الشعر ديوان العرب أبدا وعنوان الأدب .

هكذا كان الشعر عند العرب رمز الفصاحة والبيان ومصدر الفخر والإعتزاز – فيه تتجلى مواهبهم وتشتعل قرائحهم وتتدفق معانيهم فبه يحيـون أفراحهم ويمجدون انتصاراتهم ويمدحون ملوكهم ويفاخرون بـأقوامهم ويـرثون موتاهم ويتغزلون بحبيباتهم وبه يصيغون حكمهم وأمثالهم وبه يستشهدون فى خطبهم وأقوالهم .

هكـذا كان الشعر عند العرب منذ أن وجد الشعر وقصدت القصائد . وتـناقل الشعر وتوارث بين العرب وكل جيل يجدد ويطور ويضيف لهـذا الميراث الخالد الذى عشقه العرب فراحوا يتغنون به فيطربون ويطربون .

فماذا أصاب الشعر فى عصرنا الحافل بالمتناقضات ؟!

لقـد تحـول الشعر من الفصاحة إلى الركاكة ومن البيان إلى الألغاز ومـن الـرفعة إلى الانحطـاط . وذلـك بفضـل الأدعياء والحواة

والمـــتاجرين الذيـــن نصـــبتهم بعض الجهات شعراء فملأوا الساحة ضـــجيجا ونعيقـــا وعاثوا فى الشعر فسادا بينما أشياعهم يصفقون لهم ويباركون خطاهم . لأسباب عديدة بعضها ظاهر جلى وبعضها باطن خـــفى . وكـــانت الضـــحية هى الشعر العربى . وكانت النتيجة هى انصراف القارئ والسامع عن هذا العبث المسمى شعرا .

والغـــريب أن هـــؤلاء الأدعياء رفضوا كل قوانين الشعر وضوابطه وهدمـــوا أصول الفن جميعها وتمسكوا فقط باسمه فهم مصرون على تســـمية كـــتاباتهم العجيبة المريبة المبهمة شعرا !! غير أن استقراء الـــتاريخ يؤكد أن هذه الحركة الهدمية سوف تنتهى حتما ولا محاله . لأنهـــا بناء بغير أساس . ولأنها نبت شيطانى لا جذور له بينما دوحة الشعر الأصيل الضاربة بجذورها فى عمق التاريخ والوجدان العربى تمـــلك مقومـــات الـــبقاء حتى وإن نفضت أوراقها فسوف تعود إلى الاخضرار . ويعود زمان الشعر الجميل .

نشرت بجريدة الزمان ١٢/٤/١٩٩٩م.

(الشعر وفوضى المؤتمرات)

بين الحين والآخر تطالعنا الصحف بخبر صغير عن قرب انعقاد مؤتمر شعرى على مستوى العالم العربى فى مصر وتمضى الأيام وينعقد المؤتمر وينفض المولد والشعراء فى كافة اقاليم مصر لا يدرون عنه شيئا وكان الأمر لا يعنيهم . وأقرب مثال على ذلك ما حدث فى مؤتمر الشعر الأخير المنعقد والذى لم نسمع عنه الإلماما ولم يحظ باهتمام الاعلام ولم تحفل به الصفحات الأدبية فى الصحف والمجلات مما يشير إلى فشلة الذريع فى تحقيق أى أهداف ثقافية أو أدبية سواء على المستوى المحلى أو القومى . والسؤال الذى يفرض الأن . كيف يتم اختيار المبدعين المشاركين فى المؤتمر ؟ وعلى أى أساس يكون الاختيار ؟ وما هى قواعد التمثيل فى المؤتمرات والمهرجانات ؟ للأسف الشديد أن واقع الحال يقول أن التمثيل والاختيار لا يتسم بالموضوعية على الإطلاق ولا توجد عدالة فى توزيع الأسماء المختارة على المؤتمرات المختلفة إذا كان المجال لا يتسع لجميع المبدعين المختارين . وبإمكاننا استنتاج : أن الاختيار يتم بناء على العلاقات الشخصية والمجاملات والتوصيات الخاصة

.بالاضـــافة طبعا الى اختيار أسماء معينة تتمشى مع التيار الذى يتبناه القـــائمون على تنظيم المؤتمرات وهؤلاء الذين يتصدرون الساحة ولا يســـمحون لاحد أن يزاحمهم لقد افسدوا حياتنا الثقافية بسوء اختيارهم المتـــعمد لأسماء لاتمثل الشعر فى مصر ، والدليل على ذلك أن هذا المؤتمـــر الاخيـــر لم تمثل فيه المراءة المصرية الشاعرة فقد اقتصر التمـــثيل عـــلى اثـــنين فقط بينما استبعدت الاصوات النسائية الجادة والمـــبدعة حقـــا . وإنى لاتساءل فى عجب كيف لاتدعى شاعرة فى حجـــم جليـــلة رضـــا او نور نافع او علية الجعار او وفاء وجدى أو فاطمة السيد او نجاح شاور الخ ... هذا على سبيل المثال لا الحصر . ان مصـــر حافلة بالشاعرات المجيدات ولكن يبدو أن المسئولين عن مؤتمرات الشعر يتعمدون تجاهل الاصوات الأصيلة الجادة بينما نراهم حرصـــين كل الحرص على تقديم كل ما هو مبتذل ورخيص مؤثرين مـــن يســـعون إلى الشهرة بكل الوسائل والنتيجة أن يخرج ضيوفنا ويعلنون انة لا يوجد شعرا فى مصر ماذا يريد المسئولون بهذا البعث ؟ ولمصـــلحة من يعمل هؤلاء ؟ ولااملك الا أن اقول أيها الناس اتقوا الله فى دينكم ووطنكم وحسبنا الله ونعم الوكيل ومازال للحديث بقية

نشرت بجريدة السياسى المصرى ١٩٩٦/١٢/١٥م .

(قصيده النثر وهبوط مستوى الشعر)

كان للكتابات الجديدة التى يسميها اصحابها بقصيدة النثر تأثيرا سلبيا على الشعر العربى بمعنى أن الشعر العربى لم يفد منها بقدر ما أضير..

فهذه الكتابات التى يجاهر اصحابها بأنهم اتوا بمالم يستطعه الأوائل ليست فى الحقيقة سوى حركة هدامة تهدف إلى القضاء على الثقافة العربية المتصلة بالتراث الحضارى للقومية العربية والأمة الإسلامية .. فهم يجنحون إلى الغريب حتى ليقال عنهم أنهم مجددون والتجديد بالطبع أمر مشروع بل ومطلوب ولكن التجديد يجب أن يكون للافضل بمعنى ان يهدف إلى الإصلاح والبناء لا التخريب والهدم .

فالتجديد والتطوير ارتقاء لاهبوط ولعل ما تراه الآن من اسفاف وابتذال وهزل بما يمثل خروجا عن كل المعايير الفنية والخلقية على السواء مما دفع الجمهور إلى الانصراف عن الشعر والأدب يدلنا بوضوح على تهافت هذه الحركة الخبيثة التى أستشرى خطرها فى حياتنا الادبية والثقافية .

والمتتبع لهذه الكتابات الغريبة يهزل مما حفلت به من غموض وإبهام لامبرر لهما .. واصحاب هذا الاتجاه ما برحوا يفاخرون فى نرجسية شديدة بأنهم مفجرو الغة بينما هذا التفجير الذى يزعمونه يعد تحطيما للبناء اللغوى والتركيب البلاغي وأيضا لاساسيات الفن وأصوله كما أن الغموض الذى يغفلون به كتاباتهم نجح فى شئ واحد وهو قيام ستار بينهم وبين الملتقى وبذلك فقد الشعر دورة كمؤثر فعال فى ضمير المجتمع ووجدانه وفقدت اللغة بالتالى دورها كاداة للتوصيل والتواصل .

ومما يزيد الأمر سوء أنهم يكتبون ويتحدثون من موقع ارهابى بمعنى انهم يرجعون عدم فهم كتاباتهم المبهمة إلى جهل القراء والنقاد على السواء .

وفى هذا المقام يحضرنى تعريف لاستاذنا مصطفى سويف فى دراسته عن (الأسس النفسية للابداع الفنى فى الشعر)يقول فيه (أن القصيدة هى رسالة من الانا إلى الأخرين فاذا كانت القصيدة هى رسالة من ذات الشاعر إلى الملتقى أليس من البديهى أن يتحدث الشاعر إلى جمهوره بلغة يعرفها حتى يستطيع أن يتفهم مضمون الرسالة ؟

إن المبدع الحقيقى لا يتنكر لتراث اسلافه ويفاخر بانة نبتّ شيطانى أننى أدعو كل صاحب قلم غيور على تراث امته وقيمها الأصلية أن يتصدى لهذه التقاليع المستوردة التى تتنافى مع قيمنا وأذواقنا ومبادئنا بصفة عامة حتى لا يشوه تراثنا العربي وأصالتنا .

نشرت بالسياسى المصرى ١٩٩٦/٨/٤م .

لمصلحة من هذا العبث ؟

فى كــل يــوم تطالعنا المجلات التى تصدرها مؤسساتنا الثقافية وهى حافلة بالقصص والاشعار الحديثة كما يسميها أصحابها الذين يعتقدون أنهم هم وحدهم الأدباء وكتاباتهم هى وحدها الأدب.

والواقع ان من يقرأ هذه الكتابات المسماة بالأدب هم أصحابها فقط . وبالإمكان التحقق من ذلك بالرجوع إلى أرقام التوزيع وإذا حاول بعض القراء المجتهدين أن يقرأ هذه الأعمال على مضض لسبب ما مستعينا بالصبر فانة لن يجد إلاكل ما هو قبيح وفج حتى أننى اقترح ان تسمى هذه الكتابات باللاأدب واتحدى من يجد عددا واحد من مجلاتنا الموقرة المـهتمة (بالثقافة والإبداع والشعر وأخبار الأدب وأحواله) يخلو من هذه النماذج المشينة .

إلى هذا الحد من التردى والإسفاف وصل حال الثقافة والأدب على أيدى القائمين على النشر فى هذه ألمجلات والسلاسل من المسئولين والمشرفين من تردى فى القيم الأخلاقية وانقسم الجمهور إزاء هذا الإستهتار إلى فريقين فريق مازال يناضل وسط هذا الدمار ويتصدى لهذا البعث ويبحث عما هو أصيل وجاد بين الضباب والركام وفريق

انصرف عن القراءة،والسؤال الذى يطرح نفسه الآن لمصلحة من هذا البعث ؟!وكيف تنفق أموال الدولة فيما يضر بوجدانها وكيانها . وأين اللجان التى تفحص وتنتقى ولماذا نروج للفساد وندعو له ؟ ولماذا التعتيم على الإبداع الجيد ومحاربته مع أنه موجود ؟!! هل هذا الوضع مقصود لتدمير هويتنا وإذا كان الأمر كذلك فهل فقدنا الإحساس بهويتنا ؟! إن المتتبع للإذاعات الأجنبية والعربية يستمع إلى أشعار موزونة مما يؤكد أن هذه الموجه الضبابية سوف تنتهى كما حدث لمثيلاتها على مدار التاريخ

نشرت بالسياسى المصرى ١٢/١٠/١٩٩٧م .

هل ما يكتب الآن يسمى شعرا ؟

لعل الناظر إلى واقعنا الثقافي يتملكه العجب مما تموج به

حياتنا

الثقافية من تيارات غريبة غامضة لا تعرف هويتها ولايدرك كنهها .
والمؤسف حقا أن من يثيرون الزوابع لا يعرفون اتجاهات الرياح .
إنهم يتحركون فوق خريطة لا يعرفون حدودها ولا يفهمون طبيعتها ومــع ذلك يصرون على محاولة السيطرة عليها والتحكم في مقدرتها فيجلبون لها ما شاءوا من نباتات غريبة لا تثمر إلا الحنظل أو لا تثمر شــيئا جاهــلين أو متجاهــلين بطبيعة التربة غافلين أو متغافلين عما يحدثونه من دمار في صرح تراثنا الثقافي .

ولعــل أبشع ما أصاب الشعر من داء هو ذلك الاتجاه الغريب الشــاذ المتــناقض وأعنى به ما يسمى بقصيدة النثر – ولست أدرى كيــف يكــون النــثر قصيدة ؟! فالشعر أو النثر كل منهم جنس أدبي مستقل له أصوله ومجاله ولا ينبغي الخلط بين الأجناس الأدبية .

وأصحاب هذا الاتجاه يجردون الشعر من أصوله تماما بحجة التجديد ويتبعون أنماطا أوربية غريبة وهي إن صلحت في لغتها قد لا

تصلح في لغتنا . غير أنهم في أكثر الأحيان يستوردون من النظريات والاتجاهات الغربية ما أستهلك بالفعل وأنتهي دوره (وبطلت مودته) ومما هو معلوم بالبديهة أن كل علم أو فن أو حرفة أو صنعة لها أصولها وقوانينها – فلماذا نجرد الشعر بالذات من قوانينه بحجة أنه قيود تعوق حرية المبدع .

إن هذه القيود المزعومة هي أصول الفن وإذا جرد منها أصبح كلاما عاديا في متناول الجميع فأي فضل للمبدع . بل أين هو الإبداع إذن ؟!

إن الفن الذي يقوم علي أصول راسخة وقواعد متينة مثل الشجرة الشاهقة في العلاء الضاربة بجذورها في التربة . فهي تملك مقومات البقاء حتى وإن نفضت أوراقها – فسوف تعود للاخضرار . وهي بذلك تختلف عن الطحلب الطافي الذي لا يملك جذور تربطه بالتربة فتتقاذفه الأمواج ويدفع به التيار أنى يشاء ثم لا يلبث أن يتحلل ويتعفن . والغريب أن أصحاب هذه الاتجاه يتنكرون لكل قواعد الشعر وأصوله ومميزاته وخصائصه . و يتمسكون باسمه ويصرون علي تسمية تلك الكتابات الغريبة المريبة شعرا . فلماذا هذا الإصرار ؟!

ولماذا لا يبحثون عن تسمية جديـــدة لكتاباتهم ويتركون الشعر للشعر ؟

وليـــت الأمـــر يـــتوقف عند حد الشكل أو القالب الفني ولكن الحداثة كمذهب فكرى يتعارض مع المقدسات ويسعى إلي تدمير القيم . وليس أدل علي ذلك من تلك الإشارات الجنسية الفاضحة والصريحة والمقززة التي تحفل بها كتابات الحداثيين وتشيع علي ألسنتهم .

والنـــتيجة المؤكدة لاستمرار هذه التيارات هي الإضرار باللغة وهـــي – أي الـــلغة – ضمير الأمة ووجدانها وتراثها لأنها من أهم مقومات الأمة ومحددات القومية ومن أظهر عوامل توحدها .

وإذا كانت الأمور تقاس بنتائجها . فلنا أن نتأمل ما وصل إليه حال الشعر علي أيدي هؤلاء العابثين من انصراف الجمهور وانعزال المـــبدعين والنظر إلي الشعر –من العامة– علي أنه هوس ومضيعة للوقت . فسقطت مكانة الشعر وهيبته بعد أن كان الشعر والشاعر من مفاخر الأمة .

نشرت بالسياسى المصرى ١٩٩٥/٥/٢٣م .

(١) خوله بنت الأزور
الشاعرة الفارسة

يخبرنا التاريخ أن المرأة العربية كان لها دور بارز في الحياة العامة وكان لها حضور قوى في ساحات المجتمع .

ونتوقف الآن أمام شاعرة مجيدة وفارسة فريدة هي خوله بنت الأزور الكندية .

وقد شهد لها التاريخ الإسلامي بمواقف مشهورة تدل علي صلابتها وبسالتها – كانت خوله كما تحكي سيرتها بارعة الجمال وفائقة الحسن ورغم هذا لم يشغلها جمالها مثل عامة النساء بل شغلتها البطولة والفروسية وتجلي ذلك واضحا حينما أسر أخوها ضرار بنى الأزور الكندي في موقعة أجندين التي دارت رحاها بين العرب والروم ولم تستسلم خوله لهذا الخطب بل عزمت علي تخليص شقيقها ومن معه من الأسرى العرب وحينما علمت أن خالد بن الوليد سيخرج في طليعة من جنده فما كان منها إلا أن جندت فرقة من الفدائيات

المقاتلات من نساء قومها وقامت بتدريبهن ثم هجمت علي معسكرات الأعداء ضمن قوات خالد بن الوليد ودخلت في صراع طويل مرير وهي ملثمة حتى ظنها بعض الجند خالدا نفسه وبعد قتال مستميت لهذه الكتيبة النسائية العربية بقيادة خوله بنت الأزور تمكنت من الانتصار وإلحاق الهزيمة بجند الروم وتخليص الأسرى العرب مما دفع جنود العرب إلي الإعجاب الشديد ببسالة هذا الفارس الملثم فأحاطوا به وناشدوه أن يكشف عن أسمه ويرفع لثامه فلما أكثروا عليه وكان بينهم خالد أمير القوم أجابت قائلة : " أيها الأمير أنني لم أعزف عنك إلا حياء منك فأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وإنما حملني علي هذا أنني ممزقة الكبد زائدة الكمد فقال خالد بن الوليد من أنت قالت أنا خوله بنت الأزور وعادت إلي مضارب قومها مزهوة فوقفت تنشد فيهم :

نحن بنات تبع وحمير وضربنا في القوم ليس ينكر

وحينما أسر ضرارا مرة ثانية في مرج دابق قررت أن تخلصه كما فعلت من قبل وقادت فرقتها النسائية إلي إنطاكية ببلاد الروم حيث سجن ابن الازور وتمكنت من فك أسره . وحب المرأة العربية لشقيقها

ثابت ومشهور ولعلنا لا ننسي مراثي الخنساء فى أخويها صخر ومعاوية وهنا تحكى خوله مشاعرها نحو شقيقها فتقول أثناء غيابه في الأسر :

ألا مخبر بعد الفراق يخبرنا فمن ذا الذي يا قوم أشغلكم عنا
فلو كنت أدرى أنه أخر اللقا لكنا وقفنا للوداع وودعنـــــــا
لقد كانت الأيام تزهو لقربهم وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنا
ألا قاتل الله النوى ما أمـــره وأفجعه ماذا يريد النوى منـــا

والقارئ لسيرة هذه الفارسة الشاعرة الفريدة يدرك أنه أمام سيدة من طراز خاص فبقدر ما تبدى في ميدان القتال من قوة وصرامة وشجاعة وبسالة بقدر ما تبدى في ميدان البيان من مشاعر عذبة رقيقة تفيض وداعة وحميمية وتبرز فيها اللمسة الأنثوية الحانية مثال ذلك تلك المقطوعة الشعرية التي تحكي ذكرياتها مع شقيقها الغالي وقد نظمتها عندما كان أسيرا وتقول فيها :

ذكرت ليالـــي الجمع كنا ســوية ففرقنا ريب الزمان وشتتنا
لئن رجعوا يوما إلي دار عزمهم لثمنا خفافا للمطايا وقبلنـــا
سلام علي الأحباب في كل ساعةٍ وإن بعدوا عنا أو منعوا منا

ومن صور بسالتها التي لا تنسى موقفها حيث أسرت مع بعض نساء قومها في موقعة صحورا . راحت تخطب في بنات ونساء قومها وتثير حماستهن وتبث فيهن روح المقاومة والتحدى ولم يكن لديهن سلاح للدفاع عن أنفسهن وهن أسيرات في خيام المعسكر – فأشارت عليهن بخلع أعمدة الخيام وأوتادها وكانت خطتها الهجوم دفعة واحدة في تماسك وصاحت فيهن صيحة واحدة كالحلقة الدائرة وتمكن من كسر سيوف الحراس وتحطيم رماحهم وبعد قتال مستميت وبطولة نادرة تمكنت خوله ومن معها من الفرار من الأسر والعودة إلي ديار العرب وإنقاذ نساء قومها من أيدي الروم .

وبعد فهذه صفحة من حياة شاعرة وفارسة عربية لتدلك علي أن المرأة العربية كان لها جولاتها وصولاتها في مجال الفروسية والأدب .

وهذه خوله بنت الأزور الكندية فارسة الشاعرات وشاعرة الفارسات نموذجا مشرقا ومشرفا للمرأة العربية .

نشرت بجريدة العروبة ١٨/٦/١٩٩٦ .

-رحلة على صفحة النيل-

-(نهر النيل)

النيل هذا النبع الخالد الزاخر بالحياة –الدافق بالخصوبة –إنه شريان مصر النابض بأكسير الحياة .ينساب في رقه ويمضي في هدوء ويسري في وداعة .

وحينًا أتأمله في سيره من الجنوب إلى الشمال يضمه شاطئاه وتحيطه خضرة الأعشاب وظلال النخيل وتحفه الحقول والحدائق. وأرقب سطحه اللامع بإشراقة الوجود فتتهادى على صفحته قوارب الصيد وسفائن السفر ومراكب الرحلات أشعر أني أولد معه كل يوم لأنه يشعرني بالتجدد والإستمرار .

في واديه الخصب صاغ أجدادي وأبائي حضارتهم الرائدة التي أنارت الكون وبددت ظلمات الجهل وعلمت المدنية لشعوب كثيرة .

لقد تجلت عبقريتهم الفريدة على ضفافه الوارفة وجاءت علومهم وفنونهم خلقا عبقريا فريدا على غير مثال سابق .

-(الفنادق القائمة)

على ظهر أحد المراكب الكبرى التي أقلتني من القاهرة إلى أسوان في رحلة نهريه أستغرقت أسبوعا كاملا –وقفت أتأمل النيل عند أسوان– وشعرت أن في كل جزء من بلادي يبدو النيل في صورة متميزة وجمال خاص . لكم تؤثرني هذه الصخور الغريبة الألوان إنها تبدو كهياكل لكائنات غريبة رابضة في قلب النهر لحراسته .

ولكم تجذبني هذه الجزر الخضراء واغبط ساكنيها –أبناء النيل –الذين تنام عيونهم وتصحو على مرآة وتطرب آذانهم لسماع أصداء الموج يداعب أو يشاكس القوارب والأشرعة وقد استحالت هذه الجزر أو بعضها إلى مناطق سياحية تعلوها المنشآت الضخمة وهنا يتعانق الماضي العريق مع عصر الفضاء وحضارته الحديثة لست أنسى ذات ليله وأنا أجلس في صالة الحفلات داخل السفينة السياحية أوزوريس وأمامي أفواج من السائحين يتراقصون على إيقاع موسيقي صاخب ويلبسون أحدث الأزياء .

ولصقت وجهي بنافذة السفينة فرأيت بعض أبناء الجزر البسطاء ينظرون إلى السفينة في انبهار.يدفعهم فضولهم إلى محاولة معرفة ما يدور بداخلها.

كانوا يدققون النظر ولاشك انهم رأوا أطياف الراقصين تتمايل من خلال زجاج النوافذ .وربما تسربت إلى أسماعهم موسيقى [الديسكو] الصاخبة .

كان ذهني شاردا عمن حولي داخل السفينة .كنت أفكر في هؤلاء البسطاء الذين لا يفصلهم عن السفينة سوى بضعةأمتار من المكان ولكن المسافة الزمنية بينهم وبين من بداخلها تقدر بمئات السنين... .. ذلك لأن من بداخل السفينة أناس من عالم آخر غير عالمهم .يعيشون في زمان آخر غير زمانهم.

-(النيل والمعابد)

كان سير السفينة يتسم بالهدوء والرقة مثل مياه النيل . وفي مواضع محددة كانت السفينة ترسو وينزل الركاب جميعا مصريون وغرباء ويتجهون الى موضع معين قريب من الشاطئ –هو في اغلب الأحيان معبد فرعوني–واعتقد أن هناك أسباب وجيهة جعلت أجدادنا القدماء يقيمون معابدهم بالقرب من النهر أو على ضفاف هذا المعبود القديم . إن معابد الفراعنة شاهد إثبات يدل على عظمة هذا الوادي ونبوغ أبنائه وسمو حضارته .

وقفت أتأمل قاعات المعابد وأعمدتها وتماثيلها وجدرانها أنها كتاب مفتوح وسجل حافل يحكي بالحروف والصور تاريخ حياة لأقوام عظام فنوا وبقيت آثارهم لتدل عليهم .حتى ليصدق فيهم قول الشاعر :ـــ

تلك آثارنا تدل علينا   فانظرو من بعدنا الآثارَ

هذى الآثار تحكي للدنيا عن أمجاد تلك الممالك من علوم وفنون وحكمه وجهاد وسجال .

والمتأمل في حضارة الفراعنة يدهشه شئ غريب تميزت به عن معظم الحضارات القديمة ألا وهو وضع المرأة المصرية في هذا المجتمع وفي هذا الزمان وما بلغته من تكريم وتعظيم واحترام كأم وزوجة وأبنه .

في تاريخ مصر الفرعونية اعتلت هواء العرش أكثر من مرة وذكر لنا التاريخ أسماء ملكات شهيرات كانت لهن بصمات مميزة حفظها التاريخ وما زال يرويها حتى الآن .

وفي آثار مصر ترى صور النساء مرسومة على جدران المعابد وتماثيلهن ومنصوبة داخل القاعات بجانب الرجال ولم نعرف حضارة اهتمت بأزياء المرأة وادوات زينتها كما عرفنا عن الحضارة المصرية

فهذه المكانة السامية لم تبلغها المرأة قط في الحضارات القديمة الاخرى بل ظلت المرأة منبوذة مهضوم حقها إلى أن جاء الإسلام فرفع من شأنها وكرمها أعظم تكريم .

حول المرأة – والمرأة المبدعة بالذات – توجد دائرة غير مرئية وهذه الدائـــرة تـــتألف مـــن سلسلة حلقاتها من القيود الخفية . وقد يتساءل الـــبعض أى قيـــود تلك فى هذا العصر الذى حصلت فيه المرأة على أرقى الشـــهادات ووصلت إلى أعلى المناصب . وتساوت بالرجل أو كادت فى الحقوق الدستورية . فأين القيود إذن ؟

والســـائل معـــذور بالطبع ، لأنه يتعامل مع القيود المادية ويتوهم أن الأغـــلال والأصفاد هى ما يوضع فى المعصم والساق فقط ناسيا تلك القيود الخفية التى تكبل العقل والوجدان وتحجر على الرأى والمشاعر – الحـــرية إذن ليست حرية الجسد خارج الأسوار فقط ولكنها حرية الفكـــر والـــرأى . وما دام حديثنا عن المرأة . فلعل المرأة المثقفة . والمبدعة بالذات . أكثر إحساسا بالحرية وأكثر تقديرا لقيمتها وبالتالى فـــهى أكـــثر معاناة من القيود – حيث لا يتاح لها حرية التعبير عن أفكارهـــا ومشاعرها ويستنكر عليها مجتمعها الصغير أن تكتب الا ما يوافق هواه ويعزز آراءه وإلا تدخل مقص الرقابة ليحذف ما شاء دون أن يكون لها حق الإعتراض .

والمؤســف حقــا أن تقديــر ما يجوز وما لا يجوز يتم جزافيا بنفس الطريقة التى تقدر بها قيمة الضرائب على مجالات الأنشطة المختلفة فى المجــتمع . دون الــنظر إلى أى اعتبارات للقيمة الفنية أو معيار الصــدق ودور الخيــال أو الجانب الجمالى داخل العمل الإبداعى – فمقص الرقابة لا يملك الموهبة أو الخبرة وليس لديه حسا أدبيا يعينه فى مهمــته . وهكذا تتحرك المرأة المبدعة داخل دائرة مرسومة لها مســبقا . تلك الخطوط المحددة التى لا تستطيع تجاوزها مهما حاولت الفكاك والا تدخل مقص الرقابة ليبتر ما لا يورق له بحجة المحافظة عــلى الــتقاليد وقــد تضيق الدائرة أو تتسع قليلا أو كثيرا ، ولكنها موجــودة ومحكمــة والخطــر الــذى يــتهدد كيان المبدعة ويتأهب للانقضــاض عــلى خصــوبة خيالهــا وقتل موهبتها هو أن السلطة المفروضة عليها تنتقل بمرور الوقت من مجتمعها الخارجى إلى داخل أعماقها فتمتص هذه السلطة وتنتقل القيود من المجتمع إلى النفس .

ولست أنكر أو أكابر فى أن بعض هذه القيود قد يكون مفيدا فى بعض الجوانب – وخصوصا فى بلد محافظ له قوانين وأعرافه المستمدة من تعــاليم الســماء وهى واجــبة الاحترام دون شك . ولكن المبالغة فى

الالتزام القيدى يكون عادة على حساب الإبداع فإذا كانت المبدعة تميل بطبيعـتها إلى الإستسلام توقفت أو توارت إلى الهامش – لأن المبدع الحقيقى بداخلة قدر من التمرد على المألوف – وإذا كانت تتسم بروح الـتحدى والإصـرار إقتناعا بموهبتها وثقة فى نفسها ولديها قدر من وضـوح الـرؤية المستقبلية لدورها كمبدعة واصلت دورها ونشرت إبداعاتهـا وقـد تضطر لاستئصال أروع ما فيها من مشاعر سامية وأصـدق مـا فيهـا من عواطف نبيلة . لا لشيئ إلاّ إرضاء لتقاليد المجتمع .

وهكـذا تظل المرآة المبدعة تتحرك داخل الدائرة تنشد الحرية وتحلم بالفكـاك من القيود التي تكبل خيالها في محاولة للانطلاق إلى العالم الرحب .

ولكـن حـتى هـذا الانطلاق محفوظ بالمخاطر ما لم تتسلح المبدعة بـالوعي والـرزانة والتمسـك بأهداب القيم العليا لا التقاليد البالية – وحينـئذ بإمكانهـا أن تنطـلق وتحلق في ثقة وامان دون الخوف من السقوط .

وقفة على بحيرة قارون

ذات صباح باسم مشرق بالامل وقفت أتأمل سطح البحيرة الهادئ وقد انعكست عليه أشعة الشمس فكسته بغلاله ذهبية . يتراقص بريقها مع تتابع الموجات في خفة ورشاقة ووداعة متناهية كان الموج يعزف سيمفونية حالمة . تردد أصداءها جنبات المكان فتتصاعد نغماتها الرائعة مع خفقات النسيم حتى تصل إلى عنان السماء .
كان ترجيع أسراب السماء يملأ الفضاء وكأنه يسبح للخالق بانشودة خالدة . تطرب لها الآذان وتملأ الفؤاد بهجة وحبورا .
على امتداد البصر تبحر المراكب الصغيرة في وثبات قصيرة تدفعها المجاديف التي يحركها غلمان مدربون في براعة فائقه ومهارة فريدة . وعلى أبعاد شاسعة تظهر أطياف وظلال أشجار الزيتون والفاكهة فتكسب المكان روعة وبهاء .
يا إلهي . . . ما أروع هذا العرس الطبيعي الساحر الذي يتجلى في صورة الكون . وما الكون سوى كتاب مفتوح يحكي قصة الخلق – إنه الوجود الحي المسجد الحافل بالأيات العامر بالصفات كان النسيم يداعب سطح البحيرة ويحاول أن يستثيره فيستجيب الاخير في

انتفاضة خفيفة وانحناءة لطيفة فتلقى الأمواج بنفسها إلى الشاطئ بطيئة متثاقله ثم ترتد في رفق شديد وهدوء آسر شيئا فشيئا ذادت سرعة النسيم فذادت بالتالي سرعة الامواج وتتابع اندفاعها وتلاطمها واستحال همسها إلى ضجيج وصخب .

حينئذ كان قرص الشمس يميل إلى المغيب وقد أوشك على السقوط في الجانب الغربي للبحيرة . درة الفيوم الفريدة.

تلاشت أشعة الشمس وحل محلها لون الشفق الوردي وقد اصطبغت به صفحة الافق ثم انعكست على سطح المياة فبدأ كنضار سائل تطفو فوقه حبيبات الياقوت والمرجان في لوحة بديعة التكوين .

وأوشك الظلام أن يعم المكان فبدأ الناس ينصرفون عن الشاطئ عائدين إلى حيث أتوا وخيم الفراغ على المكان وتخلص الشاطئ من أعبائه وهمومه اليومية .

فأخذت الطبيعة في ممارسة لعبتها المفضلة .

فعزفت الأمواج وهزجت الرياح وناحت السواقي ورقص النخيل وصفقت الغصون وضاعت الورود بعطرها وهمست الأزهار وباحت بسرها للمدى .ثم بزغ القمر وطفق ينظر على استحياء ثم ارتفع بعد

أن نشر ملاءته الفضية اللامعة على وجه الطبيعة فزادها فتنة وملاحة.

وأسدل الليل أستاره على عرس الطبيعة في انتظاره قدوم الفجر ليزف اليها بشرى صباح جديد . معلنا بداية النهار .

هوية الابداع المفترى عليها

يتفق الناس عادة على المبادئ العامة ،لكنهم يختلفون على التفاصيل المتعلقة بهذه المبادئ ونضرب مثالا لذلك بما كان يفعله فيلسوف اليونان الكبير سقراط وهو يحاور الناس فى الاسواق ، فكان يبادرهم بالسؤال عن أحد هذه المبادئ مثلا هل تحب العدل ؟ فيكون الجواب بالايجاب فتتابع أسئلة سقراط التهكمية ، ما هو العدل من وجهة نظرك وكيف يمكن تطبيقه إلى آخره ، فتختلف الاجابات وهكذا يتفق الناس فى المبادئ العامة ويختلفون فى الفروع – ذلك لأن هذه المبادئ أو القيم العليا كما نسميها قيم معنوية معيارية وليست أشياء مادية ملموسة يمكن إخضاعها لمقاييس محددة – فكلنا بالتأكيد نتفق فى حب العدل والصدق والحق والخير والجمال والسعادة والحرية إلى آخره ، ولكننا بالتأكيد سوف نختلف فى مفهومنا لهذه القيم وكيفية تطبيقها ، مثلا الحرية بصفة عامة قيمة عليا ضرورية لكى يحيا الانسان كريما عزيزا ،وحرية الابداع بصفة خاصة ضرورة للمبدع حتى لا يقيد خياله أو تكبل أفكاره وهذا بالتأكيد يحد من إبداعه .نحن متفقون إذن

على أن حرية الإبداع ضرورة – ولكن – ما مدى استخدام هذه الحرية ؟ وهل هى مطلقة أم مقيدة ؟ وهل هى مسئولة أم غير ذلك ؟ ثم ما العمل مع من يسئ استخدام هذه الحرية ؟فى اعتقادى أن الحرية دائما مقيدة فلا توجد حرية مطلقة حتى فى الغابات ولم تكن الحرية مطلقة فى أى مجتمع قديم أو حديث ، ومن يريد أن يكون حرا مطلقا فعليه أن يعيش منفردا فى عالم خاص به وليس داخل مجتمع له قوانينه وأعرافه وقيمه وعقائده وذلك لأن الفرد داخل المجتمع له حقوق وعليه واجبات وحريته تقف عند حدود حريات الآخرين الذين لهم نفس حقوقه ولا يحق له أن يجور عليها وكما يقول المثل السائر (انت حر ما لم تضر) فليس حرا فى ان يضر بالآخرين والا اصبح لهم الحق فى الاضرار به .

وحينما يتعلق الامر بحرية الإبداع – فإنه من المفترض فى المبدع أن يكون صاحب رسالة وصاحب قضية وأن يكون قدوة لأبناء مجتمعه ، ذلك لأن الكاتب والشاعر والأديب بصفة عامة وهبة الله ملكة القدرة على التعبير والإبتكار ، وبفضل هذه الموهبة الالهية وضعه المجتمع

فى مقام رفيع ومنزلة سامية يحضرنى بيت من الشعر لشاعر العروبة على الجارم يقول فيه :

الشعر من صنع السماء فسمه – وحيا – اذا ما شئت – أو الهاما

ما أروع هذا السمو وهذه المنزلة الرفيعة لفن الشعر – ويمكن تطبيق نفس المقولة على سائر الفنون الراقية ذات الغاية النبيلة ، اذن ينبغى أن يكـون المـبدع ملـتزما أخلاقيـا تجاه مجتمعه الذى ينتمى اليه ،ولا يخـفى تأثيـر المبدع على المتلقى وتجاه قارئه الذي يتوجه اليه بالكـتابة وخصوصـا الناشـئة فهـو يشكل جزءا كبيرا من وجدانهم وبالتالى يوجه سلوكهم فأما أن يسمو بهم وإمّا أن يقودهم إلى الهاوية . الحرية إذن مسئولية ، والمبدع بالتالى مسئول عن ممارسة حريته ،لأن ما يكتبه المبدعون هو انعكاس لنفوسهم من الداخل ويعبر عن محتواهم الثقافى والفكرى والدينى ونظرتهم إلى الحياة بما تمليه عليهم ميولهم ورغباتهم وتوجهاتهم . باختصار نتاج الأديب هو شخصه ، لذلك يتجه علماء النفس إلى تحليل شخصيات المبدعين الراحلين وتحديد سماتها من خلال تحليل كتاباتهم على اعتبار أنها تمثلهم فالإنسان السوى لايقول إلاّ ما يعتقده .

المبدع إذن مسئول عما يكتب وإعفاؤه من المسئولية يعتبر إهانة كبرى له لأن القانون لا يعفى من المسئولية سوى السفهاء والمجانين .

وإذا كان يحق للمبدع أن يتمرد على واقع ظالم أو مظلم وأن يشيّد عوالم جديدة من صنع خياله وأن يرتاد مناطق مجهولة فيكشف عنها وأن يسبح أحيانا ضد التيار فهذا حقه ، ولكن هناك ثوابت لايجب المساس بها ولاتخضع لخيال المبدع – فليس من حقه أن يدس السم فى العسل كى يسقيه للقراء بدعوى حرية الإبداع .

المبدع إذن ملتزم باحترام قيم المجتمع وعقائده وبالتالى احترام مشاعر القراء ، وكما هو معروف أن الأفكار ملك لصاحبها ما دامت داخل رأسه أو دفاتره الخاصة فإذا وصلت إلى الناس فهى ملكهم ولهم الحق فى قبولها أو رفضها بل لهم الحق فى نقدها وتحليلها والرد عليها واستحسانها أو استهجانها .

وهناك حقيقة أخرى يجب أن نعيها جيدا – وهى أن المبدع أىّ كان هو فرد من أفراد المجتمع ليس نبيا أو ملاكا وبالتالى ليس معصوما من الخطأ فقد يكون من بين المبدعين بعض ضعاف النفوس أو رقيقى الإيمان أوغير الأسوياء وهناك أيضا الأدعياء والمنحرفون ومن لهم

شطحاتهم الخاصة أو حتى نزواتهم الخاصة فيصورون فى كتاباتهم ما تنضح به نفوسهم المريضة من هلاوس وخزعبلات – والإناء ينضح بما فيه – فهناك إنسان تجد بداخله جنة وارفة الظلال مليئة بالأزاهير والرياحين وآخر بداخله غابة موحشة مليئة بالأشواك تسكنها الحشرات والأفاعى ، وهذا الصنف الأخير من قال فيهم شاعر النيل :

وأديب قوم تستحق بنانه

قطع الأنامل أو لظى الإحراقِ

فى كفه قلم يمج لعابه

سما وينفثه على الأوراقِ

عريت عن الحق المطهر نفسه

فحياته ثقل على الأعناقِ

إن مثل هؤلاء الناس الذين خانوا رسالة القلم الذى اقسم الله به قد خربت ضمائرهم فاستهانوا بالقيم وعاثوا فسادا فى حياتنا الأدبية والثقافية يجب التصدى لهم حتى يعودوا إلى الصواب أو يلفظهم

المجتمع بعيدا فى زاوية النسيان بعد أن اختاروا بانفسهم هذا التردى – ومن لايتقى الشتم يشتمُ.

فارق كبير إذن بين حرية الإبداع وحرية العبث وبين الخيال المبدع والخيال المريض .

وإنىّ لأتساءل فى عجب .

١-لمـــاذا ندافع عن من يتطاول على الله الذى نسبحه ونقدس له ويسخر من عقائدنا التى نستشهد فى سبيلها ؟

٢-ثم ما هو الإبداع أو الإبتكار الذى أتى به هؤلاء –هل هو العرى والشذوذ وكشف العورات ونشر كل ما هو قبيح يحتاج إلى موهبة ؟

٣-وأى نفع يرتجى يمكن أن يعود على الفرد والمجتمع من نشر هذه الكتابات السوقية الهابطة شكلا ومضمونا ؟

٤-ثم لماذا ندافع عن الخطأ والمخطئين ولماذا نتكاتف ونتضامن مع من يقدمون الينا الولائم المسمومة بدلا من محاسبتهم ؟

٥-لماذا لا تكون لدينا الشجاعة على الاعتراف بأخطائنا والقدرة على تصحيحها ؟ .

٦-وأخيرا هل مشروعنا الثقافى التنويرى يكتمل ويرقى من خلال نشر الفواحش والرذائل التى وصلت إلى المحارم وتجرأت على الدين والاخلاق وسب المقدسات ؟

٧- هل نهضتنا الفكرية تحقق أهدافها وتؤتى ثمارها من تبنى مثل هذا العبث والاسفاف ؟

٨- لا اعتقد أن هذه الحرية المطلقة غير المسئولة ممكن أن تقود المجتمع إلى التقدم فهذا بالطبع يتنافى وأبسط قواعد المنطق والقياس .

نشرت بجريدة أخبار الخليج ١٢/١/٢٠٠٠م .
ونشرت بجريدة الأهرام ١٤/٣/٢٠٠٠م .

محمد اقبال شاعر وفيلسوف الاسلام

يمثل د. **محمد اقبال** علامة مضيئة فى طريق الفكر الإسلامى بنظرة الـــثاقب وعقــلة المستنير وشاعر يته الفذة . وأذكر أن معرفتى بفكر **محمـــد إقبال** بدأت وأنا طالبة بكلية الآداب قسم الفلسفة وعلم النفس . ومـــن خلال مادة الفلسفة الإسلامية فقد بدأت أقرأ لفلاسفة الاسلام فى العصـــر الوســيط ثم العصر الحديث وأعجبت كثيرا بمقولة الكندى " لنـــنظر فى تراث الأولين فنأخذ ما نراه حسنا ونرفض ما نراه رديئا وكـــان يوضـــح موقفه من بعض التيارات الإسلامية الرافضة آنذاك لـــلفكر الفلســـفى برمته باعتبار أن أهل هذا الفكر ليسوا مسلمين وإن بعـــض مباحثه قد تتعارض مع العقيدة وكان إعجابى بفلاسفة الإسلام الفارابى – إبن سينا – إبن رشد – وغيرهم يرجع إلى كونهم مبدعين ومفكـــرين وليســـوا مجـــرد نقـــلة عـــن اليونانية لقد قدموا الشروح والتحـــليلات للفلســـفات الوافدة باعتبارها تراثا إنسانيا ثم أضافوا إليها أرءاهـــم ونظراتهم الخاصة بدون افتتان بهذه الفلسفات أو إنعزال عنها وبهذا صانوا الفكر الإنسانى من الضياع ونقلوه إلى غيرهم.وبعد حقبة الإزدهار هـــذه مر العالم العربى بخاصة والشرق الاسلامى بعامة

الـــتدهور والـــرقود الفكيـــرى والثقافى والتخلف العلمى كنتيجة للغزو الإستعمارى والاحتلال الأجنبى الذى استلب ثروات هذه الشعوب وقيد حريـــتها وحـــال بيـــنها وبين الرقى والتقدم وما تبع ذلك من فرض الســـيطرة والوصــــاية عـــلى أبنائها عن طريق فرض فلسفاته عليها واستحال الشرق كله تقريبا إلى أمم شتى غارقة فى متاعبها تنتظر من يوقظهـــا من غفوتها وجاء القرن العشرون حاملا معه بوارد غضب وتمرد وثورة على المستعمر ولكن لم يكن للشرق فلسفة واضحة فى هـــذا الوقـــت وكان علية أن ينتظر قدوم إقبال حتى يصوغ له فلسفة إسلامية مكتملة الملامح .

كـــان لـــلعلامة **محمد اقبال** إطلالة نقدية على فلسفات الغرب وعرف قصـــورها من خلال إحتكاكه بأهلها إبان إقامته فى أوربا فهى فلسفة ماديـــة ذات جوانـــب نفعيـــة دون الـــنظر إلى القيم العليا أو المبادئ الإنسانية التى أقرتها الأديان فالفكرة النافعة عندهم هى المفيدة والمفيدة هى الـــنافعة وإن أحـــلت حراما وحرمت حلالا وتصادمت مع كل القيـــم الأخلاقيـــة – لهـــذا لم ينبهر فيلسوفنا المسلم **محمد اقبال** وهو

المؤمـــن المحصن بعقيدته بهذه الفلسفات التى تحمل روح الإستعلاء والإســتلاب والإلحـــاد أحيانا وترتد بالانسانية إلى الدرك الاسفل من الدونية فراح يكشف زيفها وضلالها ويقدم البديل الصالح المستمد من تعـــاليم الإســـلام الغراء فى وقت كان فيه الشرقيون المغلوبون على أمـــرهم مولعون بتقليد الغرب الغالب بيد أن معرفتى بشاعرية **محمد إقــبال** لم تتضح بصورة واعية الا حين غنت له +سيدة الغناء العربى أم كلثوم قصيدته التى اشتهرت باسم (حديث الروح) والتى ترجمها ونظمها بالعربية **الشيخ الصاوى شعلان** – ومن ثم بدأت أهتم بمعرفة **محمـــد إقبال** الشاعر غير أن حاجز اللغة كان حائلا قويا يحجب عنى معظـــم إنـــتاجه فليس لإقبال مؤلفات بالعربية ولست أنا ممن يجيدون الأرديـــة أو الفارســـية ولذلك كانت علاقتى بفكر إقبال وشعره – ولا زالت – عن طريق الوسطاء من المترجمين والناقلين عنه جزاهم الله عـــنا خير الجزاء – فقرأت معظم ما ترجمه له **د . الشـــيخ الصاوى شعلان** ولقد أحسن الأديب الشاعر **عبد اللطيف الجوهرى** صنعا حين ضـــمن كـــتابه – لـــلحق والنهضة والجمال – قصيدتى إقبال شكوى وجـــواب شكوى – فأتاح بذلك الفرصة للكثيرين من القراء للإطلاع

علـى بعـض روائـع إقبال شاعر الإسلام . ويرى أ . **عبد اللطيف الجوهـرى** إن إقبال لو لم يبدع غير هاتين القصيدتين لكفتاه كشاعر مجيـد . فتلك الروائع التى تحمل من السمو الروحانى والنقاء النفسى والإيمان العميق ما جعل هذه النفس الشاعرة تتوجه بشكواها وهمومها الثقيلة إلى الله ورسوله تدعوه إلى الاخذ بيد المسلمين وفى نفس الوقت تدعـو المسـلمين إلى الوحـدة والتأليف ونبذ الفرقة (فلن تبنى العلا متفرقيـنا) وهى فى مجمـلها دعوة إلى الإيمان الصحيح فهو حصن الأمـان لأتباعه (إذا الإيمان ضاع فلا أمان) والحديث عن علامة فى حجم **د. محمد اقبال** الفيلسوف الشاعر والشاعر الفيلسوف يطول ولا يفيـه حقـه . وما أحوجنا اليوم لمثل هذا الفكر المستنير فى مواجهة العولمـة او الهيمـنة التى يراد بها محو هويتنا وخصوصيتنا وتسييد وفرض ثقافة الغرب وفلسفته المادية وتبعاتها المدمرة للقيم والأخلاق والـتى لاتخـدم سوى مصالحة الاستعمارية ولقد كانت الندوة الرائعة الـتى عقـدت بمقـر هيئة خريجى الجامعات بالقاهرة فى التاسع من نوفمبر عام ٢٠٠٠ فرصة طيبة للتعرف والتذكير بهذا العلم الخالد من أبـناء الامـة الاسلامية وما قام به من مجهودات كريمة لرفعة شانها

والـتقارب بين أبنائها وتحقيق الرابطة الاسلامية بين المسلمين ، فقد كـان المسلمون الأوائل يهاجرون من أوطانهم فرارا بعقيدتهم فرابطة العقيـدة من أقوى الروابط وهى التى تؤلف بين اتباعها لانهم يسقون من معين واحد هو كتاب الله وسنة رسوله (ولو انفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) صدق الله العظيم

ولقـد ضمت هذه الندوة صفوة من السادة الأفاضل فى مقدمتهم سعادة **السفير أنور كمال** سفير جمهورية باكستان الإسلامية وسعادة **الأستاذ اخمـد شـفق هاشـمى** المستشار الصحفى بالسفارة **والدكتور حازم محفـوظ** مـدرس اللغة الأردية بجامعة الأزهر والأديب الباحث **عبد اللطيف الجوهرى** والشاعر **د. محمد حامد الحضيرى** والشاعر **أحمد عبد الهادى**

و د. نبيـلة اسـحاق – والشيخ زكى خطاب الشاعر الموسيقى الذى تغـنى بشـعر اقبال **وكاتبة هذه السطور** إلى جانب بعض الإعلامين والجمهـور المحـب لشـاعرنا وفيلسوفنا **محمد اقبال** أن هذه الندوة وامثا لها لهى لمسة وفاء لرجل أفنى حياته فى الدفاع عن قضايا أمته

ورفـــع مكانـــتها عاليا والأخذ بيد أبنائها إلى الطريق الصحيح وليتنا نســـلك هـــذا المسلك ونحتفى بجميع رموزنا من أعلام وعباقرة أمتنا العـــربية والأسلامية ونذكر بهم وبعطائهم حتى يكونوا قدوات صالحة ومثلا عليا للأجيال الجديدة .

ويطيب لى فى نهاية كلمتى المتواضعة أن اتوجه ببعض الاقتراحات إلى :

<u>سعادة السفير الباكستانى فى القاهرة</u>

١- (أقـــترح أن يقام هذا اللقاء سنويا فى مبنى السفارة وإن يعلن عنه ويغطى إعلاميا ويدعى له المهتمون بفلسفة وأدب إقبال).

٢- أن تطبع مؤلفات إقبال باللغة العربية بعد ترجمتها وتوزع على الحضور فى هذه الندوات أو تطرح للبيع بأسعار زهيدة.

٣- ويمكن تطبيق نفس الاقتراح على كل إعلام القارة الهندية حتى نوجـــد نوعا من التواصل بين الشعوب الإسلامية فى كل بقاع الارض وحـــبذ لـــو طـــبقت هـــذا الاقتراح جميع السفارات الإســـلامية الموجـــودة فى مصر و العالم العربى فهى بذلك ســـوف تـــؤدى خدمـــة ثقافيـــة وفكرية جليلة لإعلامها أولا

وللشــعوب التى تخاطبها ثانيا فهذا من شأنه التقريب بين هذه
الشــعوب فكــريا ووجدانيــا مما يساعد على توضيح الرؤية
وتبادل المعرفة وتوحيد الصف فى مواجهة أعداء الاسلام فلا
يجب أن يقتصر دور السفارات على الجانب
السياسى على أهميته.

وبعــد فإنى اعتقد – أن مواجهة الغزو الثقافى الوافد علينا والذى يهــدد كيانــنا الفكــرى والثقافى بل ويهدف إلى المساس بعقيدتنا وتدمير لغتنا العربية باعتبارها لغة القرآن كتابنا المقدس لا يتم إلا بــبعث هذا التراث النبيل وتقديمه للناشئة حتى يظهر وجه الثقافة الإسلامية نقيا أصيلا وفقنا الله لما يحبه ويرضاه وأن يجعل قادتنا و مفكريــنا ومبد عينا أحجار بناء لا معاول هدم – والسلام عليكم ورحمة الله .

القيت هذه الحاضرة فى ندوة خاصة فى ذكرى الشاعر الفيلسوف محمــد اقبال اقيمه فى هيئة خريجى الجامعات بالقاهرة وحضرها السفير الباكستانى احمد كمال ومستشارة الثقافى – ٩/١١/٢٠٠٠م

المناضل الرمز

تــرجع معرفــتى بالعالم أ . د / عبد الحميد ابراهيم الى عام ١٩٩١م حيــن التقيت به لاول مرة فى قصر ثقافة المنيا حين كان يدير إحدى ندوات نادى الادب وكان حينئذ عميداً لكلية الدارسات العربية بجامعة المنيا .

وكنت أنا فى ذلك الوقت حديثة عهد باالانضمام للنادى .

وكــان د . عــبد الحميد ابراهيم اثناء تقديمه للندوة يعطى دروسا فى الأدب ويعطى توجيهات للناشئة من المبدعين .

وكــان يغــوص بــنا فى التراث ثم يعود للقضايا المعاصرة كل ذلك بأســلوب جــذاب يخــلط فيــه الجد بالهزر فى معادلة يصعب على الكثيرين تحقيقها .

فــالجد عــندة لايصل إلى الجهامة ، والمزاح عندة لا يقلل من وقارة وبهــاتين الميزتين تستطيع ان تستمع إلى د . عبد الحميد ابراهيم دون ان تمل مهما طال حديثة .

كانت توجيهاته لشباب المبدعين وتصويب أخطائهم بعد القاء قصائدهم أو قراءة قصصهم تتم برفق وبحنان أبوى دون إحراجهم أو إحباطهم وبتشجيع يتناسب مع حجم مواهبهم .

وجاء دورى والقيت قصيدتى فصفق لى وعلق عليها باستحسان وأثنى بصـــفة خاصـــة على سلامة الوزن واتقانى لعروض الشعر ، وبعد انـــتهاء الندوة شكرته وقلت له ان لدىّ مجموعة من القصائد أريد أن أصدرها فى ديوان ولكنى أخشى التجربة فقال :" ارسليها لى لقراءتها فارســلتها له – ثم قابلته بعد ذلك بمكتبة وسالتة عن راية فى الأشعار التى أرسلتها إليه .

فقـــال : إن مستواها جيد وشجعنى على نشرها فطلبت منة أن يكتب عـــنها دراسة ، فرحب بذلك رغم مشاغلة الكثيرة وكتب عنها دراسة نقدية طويلة فى تقديمه لديوانى الأول – نبع الوجدان –.

اتســـمت فى رأى الكـــثيرين بالموضـــوعية الشديدة التى لا تخلو من التشجيع والحرص على الموهبة .

ومـــنذ ذلـــك الـــتاريخ توثقـــت علاقتى باستاذى العالم الكبير والناقد المعروف والقائد النشط للحياة الأدبية فى المنيا .

بـــدأت اقـــرأ له واتـــابع نشاطاته المتعددة فكنت من أوائل المنضمين لجماعة التأصيل التى أسسها فى المنيا ومن الأعضاء الحرصين على حضور ندوة الوسطية بالقاهرة وكذلك أسند إلىّ الإعداد لندوة الوسطية بالمنيا فى السبت الثانى من كل شهر .

والحـــق يقال أن صالون د . عبد الحميد ابراهيم من أرقى صالونات الأدب فى مصـــر بمـــا يطـــرحه من قضايا فكرية وثقافية هامة وبما يضمه من نخبة ممتازة من النقاد والمبدعين والمثقفين والمدافعين عن الهويـــة والحريصـــين على الارتباط بالجذور والتمسك بالاصالة مع التطور والانفتاح على العصر .

وهذا هو الدور الذى تصدى للقيام به د. عبد الحميد ابراهيم ومدرسته فى مواجهـــه حملات التغريب والإستلاب الفكرى والإستعمار الثقافى إيمانا منة بالعقيدة والوطن .

وبعــد ... فانــا لا اريد أن اتحدث عن مكانة د . عبد الحميد ابراهيم العلمية والمناصب التى ارتقاها ومؤلفاته الكثيرة وما حصل علية من جوائز وشهادات وما يرأسه من لجان فكل ذلك كتب عنه وفية زملاؤه وتلاميذه وهم اقدر منى على تغطية هذا الجانب .

اما حديثى عنه فسيكون عن ملامحه الإنسانية واثرة فى الحياة الثقافية وما يقوم به من دور هام فى حماية الهوية العربية والإسلامية لثقافتنا وأفضل ان يكون حديثى شعرا .

علمٌ على أعلى الزرى

نجم مضاءْ

يرنو إلى النيل المعبقّ بالخصوبة

والنماءْ

ولنخلةٍ سمقت وصالت

فى السماءْ

لتقاوم الريح المحمل بالسمومِ

وبالفناءْ

يا أيها الرمز المناضل كالنخيلِ

على البقاءْ

متعمقا فى تربة الوطن الأمينْ

وبعمق آلاف السنينْ

وبه ثبات الواثقينْ

وبهمة أعيت عقول الأدعياءْ

أستاذنا عبد الحميد زمانكم

إنى أراه يعوزه أمثالكم

ويعوزه من يملكون نضالكم

من لا يهابون المخاطر مثلكم

من يعشقون ترابهم

فى كبرياءْ

يا سيدى أبرز هويتك المليئة بالشجنْ

وأعلن بأن المجد حق للوطنْ

وأحشد قلوب الثائرين على المحن

أهل الاصالة

والوفاءْ

يا سيدى أنت الكفاح بلا كللْ

لا يأس عندك لا مللْ

فالعلم يصدقُ بالعملْ

والحر يمنحُ

فى سخاءْ

يا سيدى – هذى غراسك أزهرتْ

ذا طلعها غطى الحقول فنورتْ

ودنا القطاف لثمرها إذ أثمرتْ

أكرم به هذا العطاءْ

أكرم به

هذا العطاءْ

غيوم على وجه القمر

غيوم تحوم بوجه القمر فتحجب ضوءا بديع الأثرْ

فقلت لماذا كستك الغيوم فغاب البهاء وحل الكدرْ

تراك مللت الطلوع الينا تراك تمن علينا النظرْ

فقال بصوت : رزين حزين غشاه الشحوب وعمق الضجرْ

كفاكم جحودا دعاة الدمار فاني سئمت ضلال البشرْ

التطلع إلى السماء هواية قديمة لدىّ أمارسها منذ الصغر . لكم تستهويني تلك القبة الزرقاء الهائلة المرصعة بالألى وأنا أرنو إليها وأرصد أضواءها في انبهار شديد وسعادة غامرة .تقطعها حيرة بالغة حين أرى أحد هذه النجوم ينطفى ويسقط فجأة ويلح على ذهني سؤال حائر أين تذهب هاتيك النجوم ولماذا سقطت ؟!

ولم يكن عقلي الصغير ولا النظريات العملية في هذه السن المبكرة يسعفاني بالجواب .

القمر الحالم :-

بيد أني كنت أزداد تعلقا بتلك الهواية في الليالي المقمرة وأتأمل تلك الدائرة الفضية الامعة وهذي الأضواء الرقيقة الحالمة التي تنير الكون مساء وتتسرب في هدوء آسر .

كنت ولا أزال مولعة بالنظر إلى القمر في أحواله المتغيرة ومنازله المختلفة منذ بزوغه هلالا صغيرا إلى أن يصير بدراً مكتملا .

القمر دائما صديق الحاملين وسمير العاشقين وملهم الشعراء والمبدعين ولكنني في بعض الأحايين أنظر إلى القمر فيخيل إليّ إنه شاحب حزين ، يشيح بوجهة بعيدا وكأنه عاتب على سكان الأرض جفاءهم له وانصرافهم عنه إنه يتخفى وراء حجاب من الغيوم وكأنه عازف عن رؤية البشر لا يريد أن يراهم ولا يريدهم أن يرونه .

هؤلاء أبناء هذا العصر الذين جرفتهم المادية البغيضة والحضارة الزائفة إلى هوة سحيقة فنسوا التأمل في ابداع الخالق العظيم .

وربما ساهم العلم الحديث في تشوية صورة القمر المضيئة الحالمة وأصبح النظر اليه على انه مجموعة من الأحجار والصخور الجامدة المظلمة وربما أنشغل الناس وخاصة في المدن الكبيرة بتلك الأنوار الصناعية الزاهية الصاخبة بل والمزعجة أحيانا .

فلم يعد القمر مصدر الضوء الرئيسي ليلا خارج المنازل كما كان الحال في الماضي .

وربما انهمك الناس في همومهم الخاصة وما تفرضه ضغوط الحياة من متاعب جمه نفسية وجسمية تستهلك الوقت والجهد ففقدوا بالتالي الإحساس بالطبيعة وما فيها من صور الجمال واختفت بالتالي اللمسة الرومانسية الحالمة من حياتهم فماتت المشاعر الشفافة الرقيقة وحل محلها العنف والبغض والجفاء والحقد وازداد بينهم التنافس الذي تحول إلى صراع ظاهر ثم مواجهة طاهنة .

وهكذا فقد الانسان أهم قيمة ينتسب إليها وهي معنى الإنسانية

الإنسان والقمر :-

وهكذا نرى الإنسان في نهاية القرن العشرين وقد حقق هاتيك الإنتصارات العلمية المذهلة التي تشبه المعجزات وحلق بجسده حتى وصل إلى القمر الذي كان في الماضي لا يملك إلاّ أن يحلق نحوه بعينيه وخياله فقط ورغم هذا فقد ازداد الحزن والألم والقهر والندم وانتشر المرض النفسي وتفشى الدمار الناتج عن الحروب والتطاحن

حتى بين الأشقاء وما يتبعها من تفكك وعناء وما ينتج عنها من عداوة وشقاء ويأس وبؤس .

ليست أدرى لماذا دارت هذه الافكار بداخلي وانا أرقب وجه القمر يظهر ويتخفى بين الغيوم الخفيفة والسحب الكثيفة إنه حزين آسف على ما أصاب البشر من ويلات وأزمات من جراء مطامعهم ونزواتهم وحماقاتهم وكأنهم سيرثون الارض إلى الأبد .

لقد تخلو عن إيمانهم وثقتهم بربهم ففقدوا بالتالي الصفاء الروحي والأمن والأمان والإحساس بالحياة . فلم يعد التواصل بينهم وبين منابعها قائما . فكان حصادهم هذا الشقاء وكان جزاؤهم هذا العناء – ولكن القمر سوف يظل أبدا صديقا حميما لكل من يملك عقلا مضيئا وحسا مرفها وقلبا حانيا ونفسا صافية .

سوف يبقى القمر بهالته الفضية وأضوائه اللامعة فيضا ساحرا وهمساً حالما ومصدرا للإلهام . ونبعا للحب . فتبارك الله أحسن الخالقين .

الحق والواجب

تـتفق الرسالات السماوية مع القوانين الوضعية و الأعراف المتبعة في أن الحــق يقابلــه الواجب وأن هاتين الكلمتين تمثلان وجهين لعملة واحدة فقد درج الـناس غالـبا عـلى الاتفـاق عـلى الأصول بينما يكون الاختلاف كل الاخـتلاف عـلى الفـروع . وخلاف الناس حول ذينك المفهومين ؟ أو تينك الكلمـتين لاينـتهي ولن ينتهى نظرا لاختلاف طبائعهم و بيئاتهم و ثقافتهم وكذلك للتفاوت بينهم في المستويين العقلي والأخلاقي فنحن إزاء أصناف من البشر:

ــ الصنف الأول ــ

قد يختلط لدية مفهوم كل من الكلمتين فيعجز ــ دون قصد ــ عــن تحديــد ما هو الحق وما هو الواجب ،والذي لا يفرق بين الحق والواجب لجهلة يخطئ بلا شك في أفعاله و علاقته مع الآخرين. لأنه لا يعرف حقوقه وواجباته أي لا يعرف ماله وما عليه .

ــ والصنف الثاني ــ

هــو الــذي يعــرف واجبه فقط ولذا نجدة دائم العطاء مدركا لواجــبه غــافلا عن حقه ــ فيكون بذلك ظالما لنفسه للأنة يعطي بلا مقــابل و مثل هذا الشخص يتسم بالمثالية الشديدة ــ وأن كان وجوده نــادرا ــ وقد يكون ذلك عظيما من القيادات الصالحة في المجتمع ــ كقــدوة ــ وقــد يكــون مستساغا من الوالدين أو مقبولا بين الأزواج

.ولكـــن عـــلي المستوى العام لا أعتقد أن ذلك في صالح المجتمع لأنه سوف يؤدى إلى تميز البعض علي حساب الآخرين .

ـ الصنف الثالث ـ

وعـــلي العكـــس من الصنف الثاني نجد الصنف الثالث الذي يعرف حقوقـــه فقط ويلح عليها إلحاحا ، ناسيا أو متناسيا واجباته ، مثل هذا الشخص أنـــا نـي بطبعه أو يأخذ دون أن يعطي أو يأخذ أكثر مما يعطي ــ وهو أسوأ كثيرا من الصنفين السابقين و يفوقهما عددا .

ـ الصنف الرابع ـ

ولكن هناك صنف رابع من البشر ــ من حيث مدى معرفتهم للحق والواجب ــ هم الذين يعرفون حقوقهم وواجباتهم ويؤدونها كما يجب أن تؤدى ــ دون تقصـــير في أي منهما - فلا تفريط ـ ولاأفراط هؤلاء هم الذين يفهمون جيـــدا طبيعة الحياة من أخذ **وعطاء** ولذا نراهم أكثر تعقلا واتزانا من غيرهم ــ لأنهم يعرفون ما عليهم فيعطونه ويعرفون ما لهم فيأخذونه ــ فلا يستغلون أحدا ولا يسمحون لأحد باستغلالهم .

وهذا هو عين الصواب . فكل إنسان له مثل الذي عليه بالمعروف ــ ولا يحق لـــلمرء أن يطالب بحقه ما لم يؤد واجبه ــ ذلك لأن حقوق الفرد عند الآخرين = حقوقهم عنده .

وقد يكون جميلا أن يتنازل المرء ــ بمحض إرادته عن بعض حقوقه للصالح العـــام أو قضـــاء لحاجـــات المحتاجين أو برا بالبعض سواء كان حبا لهم أو إشـــفاقا عليهم . تلبية لمشاعر الرحمه والتضحية والإيثار . ولكن لايصح له

مطـلقا أن يتـنازل عن جميع حقوقه فأن ذلك يورثه الحسرة والندم . ويدفع بالآخـرين للسـطو علي هذه الحقوق دون وجه حق . وهنا يكمن الخطر من حدوث الخلل في المجتمع الذي يؤدي بدوره إلى الصراع والتفكك.

.أبحث عنك.

بعيـــدة عنك بتحير أفكاري في عوالم لانهائية .تبحث عنك . تفتش بين الحقول عـــن يـــنابيع حنانك وزهور مودتك ــ تسبح ــ تغوص ــ تنقب عن أصداف قلـــبك ولآلئ كـــلماتك . ثم تجوب الأفق تصغي لقصف الرعد وعصف الريح ووشوشات النسيم كي تميز صوتك الحالم .

كـــان صـــداه الهـــامس يطـــوف بسمعي ممزوجا بحفيف الأشجار وشقشقات العصـــافير وعـــزف الأمواج ويحمل بين نبراته عبير أنفاسك ونبضات قلبك ونغمات أشعارك وأنا أصغي أليه في استغراق تام .

ولكـــنك لـــم تأت ولم تصلني رسائلك .سألت عنك أغصان الأشجار وسعف الـــنخيل وسيقان البردي وأزهار البراري فأجابوا جميعا بأنك قادم عن قريب .وظللت أسأل العصافير والحمائم فأقسمت لي أن رسائلك علي أبواب المدينة .وأن مســـئولية الـــتأخير تقـــع عـــلي عاتق ساعي البريد الكسول .وصدقت العصافير والحمائم وصفحت عنك .

فانتظرتك طويلا طويلا .ولكنك لم تأتي ولم تصلني رسائلك .وعدت من جديد أســـأل الـــريح فأشـــارت إلى الشـــمس .وسألت الشمس عن رسائلك . فقالت أودعـــتها للقمر.وانتظرت القمر حتى بزغ ثم غاب وأنا ما زلت ساهرة ساهدة .. حـــتى تبين لي الخيط البيض من الخيط الأسود من الفجر . وإذابالفجر يـــلقى إلـــي بخيـــوط رقيقه حالمة فعلمت أنها رسائل أهدا بك الحانية وخيط شعورك الدافق بالحنان والمودة .ففرحت بها واحتويت وادعتها بكل كياني .

ولكـــن الفجر لم يلبث إلاّ قليلا ثم أسترد خيوطه ورحل .وهكذا ظلت أفكاري هائمـــة حائـــرة تـــبحث عنك . حتى أعياها البحث وأدركها النصب وأضناها التعب وعذبها الانتظار فأعلنت العصيان والتمرد غضبا منك لا زهدا فيك

وأنـــت ــ ــ ــ أيهـــا الغائب الحاضر المولع بالنسيان والبعد.

أيها البعيد القريب سلام عليك ذاكرا أو ناسيا .

- حديث إلى جدتي -

- (وحدة) -

ذات ليـــلة --- من ليالى الشتاء الباردة أحسست برعشة ترتجف لها أطرافى - والصـــقيع يلف بدنى ويكاد يجمد الدفاء فى عروقى لم تفلح ملابسى الثقيلة فى تدفئة أوصالى المرتعدة

كنت وحيدة فى هذا المنزل المتسع الأرجاء المرتفع السقوف ولقد سافر الجميـــع وتـــركونى وحـــدى دخلت حجرة نومى بعد أن أغلقت بإحكام جميع الأبـــواب والـــنوافذ وأشعلت المدفئة ثم أويت إلى فراشى وقد أسنت رأسى إلى وســـادة صـــغيرة . تدثـــرت بغطـــاء الســـرير ومدت يدى إلى زر الأباجورة الموجـــودة عـــلى يميـــنى وأضأتها ومكثت أحملق فى سقف الحجرة وأنا أفكر وأتأمل .

كـــان عقـــلى يموج بأفكار تتزاحم وتتلاطم وكان قلبى يغلى بإنفعالات شتى . وكانت نفسى تصارع الحيرة والقلق ولا تستطيع الإفلات منها -

(نفرتيتى الساحرة) -

كـــانت الأباجورة من الرخام الأصفر الباهت على هيئة رأس نفرتيتى وحيـــن توهج الضوء بداخلها بدا وجه نفرتيتى الحسناء الفاتنة مشرقا - وجيدها الممشوق كأنه جيد إحدى ظبيات وادى ثقيف خيل إلى أن ربة الحسن والجمال قد بعثت للحياة .

أجل لا بد أن فينوس أو أفروديت ... كلا كلا إنها الملكة الجميلة نفرتيتى زوجة فيلسوف الفراعنة إخناتون .

نظرت إليها فى إعجاب . ولكم راعنى أنها تبتسم لى فى حنان ورفق ....

مرحا يا جدتى العظيمة . أفيضى على من نبأ حكمتك وخلاصة تجاربك .

ليتنى عشت فى زمانك القديم - أيام الحضارة الزاهرة والطبيعة الساحرة والعيش الرغيد .

لكم أتوق لهذه العالم الأسطورى الرائع ودنياءالفاتنة الخالية حيث كل تله موطنا لإحدى جنيات الغاب وكل خميلة مسكنا لإحدى عرائس الهضاب وكل غمامه منزلا لإحد حوريات السحاب لكم أبغض هذا الزمان تفنن فيه الإنسان بقتل أخيه الإنسان مستخدما فى ذلك أرقى ما وصل إليه علمه وإهتدى إليه عقله .

- (جدتى نفرتيتى تتحدث) -

وأصغيت إلى صو تها الهامس القادم من أعماق التاريخ يحمل بين أنفاسه غبار الزمن وقداسة المعابد وتراتيل الآلهة وعبق الحضارة ونفحة الخلود .

وفى وقار شديد وحكمة بالغة وهدوء رزين يكسوه جمال المحيا وجلال الملك .

أجابت جدتى .

يا أبنتى العيب ليس فى زمان ولكننا نحن بنى البشر اعتدنا أن نلقى بأخطائنا على عاتق الزمن ونحمله جريرة فشلنا وإخفاقنا ثم ترانا بعد ذلك - كما قال شاعر كم

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيب سوانا

فالـــزمن يـــا أبنتى يقبل ويدبر ويمنح ويمنع ويسخو ويقتر ويضحك ويبكى - والأيام دول منذ أن خلقت الدنيا - وتلك طبيعة الحياة فالإنسان فى صراع دائم لـــتحقيق مطامعه - ولو لم يخلق فى الدنيا سوى شخصين فقط ليقتسماها بينهما لتنازعا عليها ولقتل الأقوى فيهما الأضعف . ألم يقتل قبيل أخاه ؟ نعم صدقتى يـــا جـــدتى ألـــم يقل أرسطو - حكيم اليونان ومعلمها الأول - أن الإنسان إذا أنفصل عن القانون أصبح أشر من جميع الحيوانات ؟

ومـــا كـــان أرسطو يقصد بالقانون سوى القانون الاخلاقي ورغم ذلك فالحياة جميلة وتستحق أن نحياها

أين ذلك الجمال يا جدتي لقد ضاع بين المتناقضات ؟ !

(مظاهر الجمال في الوجود)

لا يـــا أبنتي أن التناقض نفسهمن صور الجمال فالضد يبرز حسنة الضد فلولا الظـــلام ما رأينا النور ولولا الشر ما عرفنا الخير ولو لا القبح ما أحينا الجمال ولولا الباطل ما اعتقدنا الحق .

إنـــك تتحدثين يا جدتي وكأن النور والخير والجمال والحق يملأون الوجود كله فليـــتك تـــد ليني عليهم وترشديني اليهم .وبعد تنهد طويل أجابت جدتي وكأنها تشـــير إلىّ فى اســـتغراب شديد . وقد اكتسبت نبرات صوتها الرخيم بالعتاب والشجن :

ألا تـــرين هـــذا النور في أشعة الشمس الذهبيه وأضواء القمر الفضيه والتماع النجيمات قي قبة السماء !

ألا تـــرين هذا الجمال في ذلك السحر الوجودي الهائل في زرقة البحر وسمرة النهر وخضرة الارض وزقزقة الطيور وتفتح الزهور وضحات الطفولة !

وألا ترين هذا الخير في قلوب الرحماء وعطف الشفقاء وتسامح الأبرار ونقاء الاطهار وتعاون الاقرباء ووفاء الاصدقاء !

ثـــم ألا تـــرين هذا الحق - في حكمة الحكماء وجلال العظماء وصدق النفوس وثبات القلوب وذكاء العقول وعمق التأمل .

يا الهي ما أبلغك ياجدتي العظيمة ! لقد صورت لي الحياة وكأنها قصيدة حب .

هـــي كذلـــك يـــا بنتي - ألا ترين هذا الحب في حنين المحبين واضئدة العشاق وخيال المبدعين ووحي الملهمين !

إن الحياة عملة ذات وجهين فانظري للجانب المشرق تحبين الحياة .

ثم خفت صوت جدتي شيئا فشيئا حتى غاض في أعماق التاريخ وما زال صداه يرن في أذني ويتسرب في اعماقي .

النجمة والحلم

فـــي فضـــاء الكون نجم فريد يتيه على كل نجوم السماء ونيشر أشعته الساحرة فـــي ثـــنايا الأفق ــ فينطلق منه شعاع عابث يلهو بخصلات شعري ويداعب أهداب عيني وأنا أدنوا منه في أنبهار شديد .

هـــذا الســـناء الحالم المبهر المطل علي الكون حين يقترب مني تطرق عيناي خوفا من المواجهة .

لكـــم أعشـــق تـــلك الهالة الضوئية وهذا الفيض النوراني الذي يحيطني بريقه المشـــتعل يوهج الحياة وتطوف في ذهني عشرات الأسئلة التي تكاد أن تنسف رأسي .

تـــري كـــم تسلق هذا الشعاع الحالم علي شعور البنات وكم داعب أهدابهن وكم غازل أحدا قـهن ؟!

وأحاول استدعاء فؤادي الذي سافر علي أجنحة كيوبيد إلي تلال القمر ومرافئ الســـها ، كـــان فؤادى شاردابعيدا يبحث قضية خطيرة يدرسها من كل الزوايا ،يقبلها فى كل أتجاه .

تري هل من الممكن أن يكون هنا أو هناك نجم فريد لنجمة فريدة ؟

وبعد نقاش وجدال صامت صامد بين عقلي وقلبي وبعد تفكير احتدام وأصتدام بين الممكن والمستحيل وبعد تفكير عميق ومراقبة دقيقة لمجريات الحياة أيقنت أنـــه من المستحيل تغيير طبيعة الأشياء فالنجم لا يريد وربما لا يستطيع حبس أشعته علي نجمة وحيدة.

قالت: النجمة هبني ضوءك كله وسأهبك ضوئي كله .

وأجـــاب الـــنجم . بل هبيني أنت ضوءك كله أما ضوئي أنا فيكفي لان يوزع عـــلي نجمـــات كـــثيرات .وغضبت النجمة التي تؤمن بمبدأ التعامل بالمثل .
وغضـــب النجم الذي يؤمن بمبدأ التمايز الذي يكفل ويضمن حقوق النجم علي النجمات . تلك الحقوق التي تبيح للنجم أن يوزع أشعته كيفما يريد فيمنح ويمنع فـــي حرية تامة وحصانه مصونة وعلي النجمة أن تقبل ذلك راغبة أ و راغمة وليس لها حق الاعتراض فما يباح للنجم لا يباح للنجمة .
وغضبت النجمة لأنها اتهمت بالأنانية وغضب النجم أنه اتهم بحب التملك .
ووقعـــت الـــنجمة فـــي حيرة بالغة فماذا عساها أن تفعل وهل بإمكانها تحدى القوانين أو تغيرها ؟!
وراحـــت النجمة تسبح عن جديد في حلمها البعيد البعيد بالعثور علي نجم فريد لا يشرق إلا عليها لا يضئ إلاّ لها يهديها كل أنواره السنيةً .
وأفاقت النجمة من حلمها الخالد المستحيل للتحقيق لكي تبحث من جديد مشكلة الحرية .

- حياتي بين القلم والورق -

يرتــبط المبدع بالقلم والأوراق ارتباطا وثيقا وعلاقته بهما جد حميمة ومباشرة وغير منفصلة ٠

ولهــذا حيــنما أرى القلم والأوراق بين أصابعي اشعر إن العالم كله بين يدي وأستطيع أن أصوغ عالمي الخاص كما أتصوره أو أتخيله على مطلق الحرية في اخــتيار الشــكل للموضوع الذي أريد أن أسجله وطريقة الكتابة التي أجيد التعبير من خلالها والأسلوب الذي يروق لي٠

وحينما بدأت اكتب الشعر -ولا اذكر لذلك تاريخا محددا - كان علي أن اختار شكلا معينا وأسلوب محددا يتفق وذوقي الشخصي ٠

(القصيدة العمودية مالها وما عليها)

وحيــن قررت اختيار الشكل الخليلى - أي الموزون المقفى - وهو ما عرف بالشعر العمودي أو البيتى أو الأصيل أو الملتزم - كان الاختيار طبقا لميولي الخاصة وتقا فنى وانتمائي للتراث - فما زلت أعتقد أن الشعر الموزون المقفى هو الشكل الأفضل والأكمل للقصيدة العربية ٠

_ (لماذا افضل هذا الشكل؟)

سألني البعض لماذا أصر على الكتابة بهذا الشكل الصعب الصارم فى أوزانه وقوافيه ؟ و لماذا لا اكتب الشعر الحر الذي يوفر لي قدرا من المرونة والتحرر

والحقيقـــة أنـــني لـــم اكن فى موقف مفاضلة ولكنى كتبت الشعر العمودي عن أقتـــناع أنـــه أفضل الأشكال للقصيدة العربية الفصحى -فى اعتقادي - وأسوق لذلك بعض الأسباب التي أراها وجيهة لتعضيد رايى.

أولا ــ انـــه الشـــكل الـــذي برع ونبغ فيه العرب أرباب البلاغة والفصاحة - حيث كان الشعر قمة المجد وزروه الفخر وقرضه يعنى التمكن من ناحية اللغة وحسن البيان . وقد ورثناه عنهم هكذا وهم أصحابه وواضعو أسسه .

ثانيا ــ أنه يوافق الفطرة لذا نجد الشاعر يبدأ به هكذا بالسليقة

ثالـــثا -ــ أنـــه يقوم على أصول ذات قوانين هندسية تحتاج إلى تمكن وإتقان بالطبع إلى جانب الموهبة وهذا ما لا يستطيعه سوى مبدع جيد.

رابعـــا ــ لأنـــه يسهل حفظة وتلحينه والتغني به. وبهذا يعيش فى الوجدان - لأنه إيقاعه يتناسب والذوق العربي والأذن العربية .

خامسا ــ لأنه يصح الاستشهاد به فى المواقف الحياتية المختلفة فى الأهمية - فى هـــذا المقـــام- بعـــد القـــرآن والسنة وساعد على ذلك أن البيت هو وحدة القصيدة ولذا من الممكن اختيار الأبيات المفردة التي تحوى الحكمة والموعظة وإلقاءها على الناس فيكون لها وقعا شديدا وأثرا عميقا فى نفوسهم.

(لماذا الهجوم على الشعر العمودي ؟)

يـــرى الـــبعض أن الشعر العمودي لم يعد مناسبا لروح العصر ويسوقون لذلك أسبابا نذكر منها :-

أولا ــ أن متذوقي الشعر فى هذا العصر يعتمدون على القراءة فلم يعد تلقى الشعر قائما على الاستماع والرواية إلا نادرا .

ثانيـــا ــ أن القصـــيدة العمودية عادة طويلة وهذا يشعر المتلقي بالملل والرتابة وخاصة إذا كانت ذات قافية موحدة٠

ثالثا ــ قد تستدعى الإطالة تكرار بعض الأفكار فتبدو القصيدة غير منسقة ولا تضمها وحدة عضوية .

رابعـــا ــ قـــد يضطر الشاعر إلى تكرار بعض القوافي على أبعاد معينة أو قد تضـــطر القافية إلى استخدام كلمة لا تؤدى الغرض فى موقعها أي أنها جلبت خصيصا إرضاء للقافية دون أن تضيف جديدا .

خامســـاـ أغلب الشعراء العموديين كثيرا ما يستخدمون ألفاظا معجمية يصعب فهمها على القارئ غير المتخصص .

ودون أن أدرى أجد نفســـيموضع اتهام وفى موقف دفاع عن الشعر الموزون المقفى - وبداية أقول لقد وضعت نصب عيني محاولة التخلص من هذه المأخذ ومـــا يـــترتب عـــليها من صعوبات تعوق القارئ المعاصر عن تذوق الشعر العمودى٠

فجميـــع قصـــائدي قصيرة أو متوسطة الطول - باستثناء عدد قليل كاثبات حالـــه- وقـــد راعيـــت فيها إلا تحوى سوى غرض واحد حتى أحقق الوحدة العضوية والفنية داخل القصيدة قدر الإمكان

كذلـــك حـــاولت الالـــتزام بالألفـــاظ الميسرة - فلا يحتاج المتلقي الرجوع إلى المعـــاجم إلاّ نادرا . واقتنعت تماما عن تكرار أي قافية داخل القصيدة الواحدة مهما طالت٠

وأيضـــا لجـــأت إلى تنوع القوافي فى الكثير من قصائدي ٠ كنوع من التيسير عـــلى المتلقي ٠ إضافة إلى هذا راعيت فى ترتيب قصائدي فى كل ديوان إلا أضع قصيدتين متتابعتين من نفس البحر أو القافية حتى اكسر حدة الرتابة التي قـــد تصـــيب القارئ نتيجة لتكرار الإيقاع - لان تغير النغمات والإيقاعات بين القصـــيدة والأخـــرى يســـاعد على تنشيط الذهن وإيقاظ المشاعر والإحساس بالتنوع وهذا كله يدفع بالقارئ إلي الاستمرار وعدم التوقف ٠

(موقفي من التجديد)

لست ضد التجديد بأي حال فالتجديد هو سنة الحياة وضمان استمرارها وقد مر الشعر العربي بمراحل تجديدية على أ يد الأندلسين والرومانسيين وهناك شعراء لهـــم جهود لا تنكر فى النهوض بالقصيدة العربية وإحيائها فى أعقاب مراحل أعمالها بحكم ظروف واوضاع اجتماعية وسياسية كثيرة ٠

وكان التجديد يقوم على تجديد الصور والأخيلة والأساليب والمعاني داخل نفس الإطـــار وأعتبار أن الأوزان والقوا فى قواعدثا بتة مثل قواعد اللغة وهى ثابتة لا تـــتغير بتغير الأزمنة ومع ذلك يتطور استخدامها وطرق التعبير بها وتتعدد الأســـاليب طـــبقا للموضـــوعات والمواقف - كذلك من الممكن استنباط أوزان جديـــدة تتمشى مع روح العصر كما فعل أصحاب الموشحات ٠ أذن أنا لست ضـــد الـــتجديد والدليل على هـــذا أنـــني كتبت عددا من قصائد شعر التفعيلة اعتز بها وإن كان اتجاهي الأساســـى هو الشعر العمودي وأرى أن الشعر العمودي هو المصدر الأصيل والنـــبع الـــذي تـــتفرع منة جميع الروافد

الأخرى وتستمد منة بقاءها فماذا لو نضـب هـذا النـبع الزاخـر ولمصلحة من يطالب البعض بردمه ومنعة من التدفق؟!

هل بإمكاننا ردم نهر النيل اعتمادا على شبكة الترع والمصاريف؟

ان هذا مثل ذاك - وهذا لا يصح بالطبع فكيف يصح ذلك؟!!!!!

(تنفيذ راى المهاجمين)

ليس صحيحا ان الشعر العمودى لايصلح لهذا العصر ولو كان الأمر كذلك لما كـان هناك داعى لتكرار أشعار القدامى والاستشهاد بها فى كل صغيرة وكبيرة • فـلو كـانت لاتصلح الالزمانها كما يقال لما تذوقناها نحن وشعرنا بحاجتنا اليها •

ولادرى سببا للهجوم علىالقافية واعتبارها قيدا يعوق المبدع وأقول أن الشاعر الجيـد لا يتوقف أمام قافية وقد كتب القدماء فى جميع الغراض والمواقف ولم تعقهم هذه القيود الوهميه وساعدهم

عـلى ذالـك ثـراء اللغة وكثرة مفرداتها ولكنه عيب من يحاول مالا يستطيع فيكون حظه الإخفاق فيقف بعد إفلاسه ليرمى الشعر بالصعوبه متعللا بالقيود فالقافية جزء من الايقاع ينتج موسيقى ظاهرة - ولايجدى قول المهاجمين بأن القافـية جـزء يسـير مـن الايقاع وأن الشعر الجديد يعتمد على الايقاعات الاخـرى الناتجة عن الجناس والطباق وحسن التقسيم والالتفات ألى اخره حيث تنتج موسيقى داخليه - ولكن ما المانع من استخدام كل هذه الإيقاعات مجتمعية حتى إذا أخفق الشاعر فى تحقيق الموسيقى الداخلية كانت لديه موسيقى جاهزة

متمثــلة فى القافيـــة فيكـــون كمـــن يعزف على اوركسترا لا على اله واحدة والغريب فى الأصل أن المهاجمين من أصحاب الاتجاهات الحديثة .
يحـــاولون تجـــريد الشـــعر من أهم خصائصه وهو الموسيقى على حين نرى العالم العربي أدخل الموسيقى فى جميع أنشطة الحياة حتى تلك البعيدة عن الفن

لقـــد ثـــبت بالدليل القاطع صلاحية القصيدة العمودية للتلحين و الغناء حتي أصعب البحور أمكن تلحينها فهل هذا متاح للقصيدة الحرة ؟

ـ (خلاصة)

إذا كان التجريب مكفولا للجميع لأنة يمكننا من ارتياد مناطق جديدة وأيضا لان تعـــدد الشـــكل الأدبي يدل علي ثراء اللغة ويرضى جميع الأذواق فهذا لايعنى هدم الصروح الشامخة المستقرة بحجة عدم ملاءمتها للزمن .

وليـــس هـــذا صـــوابا بالطبع وخاصة الجديد ليس هو الأفضل دائما وأن شعراء القصيدة الجديدة لم يأتوا حتى الآن بمثل ما أتي به الأوائل من القصيدة العمودية .

وإذا كـــانت القصـــيدة العمودية تعانى أحيانا من بعض المأخذ فلماذا لا نحاول الخروج بها من هذا المأزق عن طريق تشخيص الداء ومعرفة العلاج المناسب بدلا من الحكم بإعدامها وأطلاق الرصاص
عليها .

حـــتى يـــبقى الشعر كما كان ديوان العرب الخالد وسجلهم الحافل بأحداث حياتهم .

- ما هو الشعر ؟

الشـــعر .... هو ذلك التعبير الراقي الجميل الذي أختص الله سبحانه وتعـــالى بـــه بعض من عباده . وكأنه بذلك قد اصطفاهم على عامة البشر في مجالات المقدرة على الإبداع الفني .

فالشـــعر مـــا هو إلاّ تعبيرا عن مشاعر البشر في صورة فنية مبدعة يحفظها الخيال ويحيطها بجناحيه ويرفرف عليها الحلم ويزينها الجمال وتضمها قوالب خاصة حفظا لها وصونا .

ولســـت أزعـــم أنني اقدم تعريفا للشعر فلدينا عشرات التعريفات التي أوردها القدماء والمحدثون وإن كنت أُحسبها جميعا غير جامعة مانعة كما يقول المناطقة .

- علاقة الشاعر باللغة :

ولما كان الشعر فنا من فنون القول كان إرتباط الشاعر باللغة ارتباطا وثيقا لأنها أدوات ابداعه . فالكلمات هي وحدات البناء الشعري وهي ايضـــا أوعيـــة للمعاني ومن هنا فإن الشاعر المجيد هو الذي يحسن انتقاء الأوعية المناسبة ليصب فيها معانيه.

كــان تكــون ألفاظه إبحاء واشد جذبا وبالتالي تصبح أعمق اثرا في نفس المتلقي .

وإن كــان بعض العلماء يؤثرون المعنى على اللفظ وبعضهم يؤثرون اللفظ على المعنى فهناك فريق ثالث يرى ضرورى تعادل المعنى مع اللفظ – أي تناسب الفكر مع اللغة – ويكاد يجزم بعض الفلاسفة بأن الــلغة ما هي إلا فكر منطوق وأن الفكر ما هو إلاّ لغة صامتة وكلمة شعر مشتقة أساسا من الشعور ولما كان الشعور

- كمــا يرى علماء النفس – تيارات متدفقا ومستمرا منذ الميلاد وحتى الممات لكنة دائم التغير كان كذلك الشعر .

فهــو مــتغير طــبقا لتغير الشعور وما ينتج عنه من انفعلات شتى ورود متبايــنة هادئة أو ثائرة وقد تكون محزنة أو مفرحة وقد تكون رقيقــة حالمــة أو شديدة غاضبة أو غير ذلك من الانفعالات الانسانية المتعددة .

- ولطالمــا ثــار في ذهني هذا السؤال وتردد صداه في أعماقي مرارا .

ماذا لو جرد الإنسان من هذه المشاعر بجسده وعقله فقط ليمارس كل أوجه النشاط الجسمي والعقلي دون حس أو شعور تراه يكون سعيدا ؟ بل تراه يكون إنسانا ؟

وكانت اجابتي الفورية من داخلي .. لا أظن فالانسان لا يكون انسانا بدون المشاعر ولولاها ما استطاع أن يبدع فنا أصيلا . فجميع الفنون تنتمي إلى عالم الوجدان ، ذلك لأن المبدع ينتقل إلى عوالم بعيده ويرنوا إلى افاق جديده فوق عالمه الواقعي – أي باستطاعة المبدع أن يصيغ خاصا به .

(دور الفن في الحياة)

للفن في حياة الإنسان دور عظيم لأنه يفجر في داخله نبعا من الحب والحلم والأمل . ويوقظ في نفسه جذوة من أحاسيس الجياشة لولاها لأصبحت الحياة جافة عقيمة غير مجدبة فالإنسان بجسده يؤدي وظيفة بيلوجية بحتة لا تختلف كثيرا عن جميع الكائنات الحية فهو يتنفس ويتغذي ويتكاثر ويتحرك .

والإنسان بعقله يستطيع أن يفكر ويقرر ويقيم الحكومات ويبني الحضارات ويسن القوانين ... ولكن كل هذا لا يشعره بالسعادة في

الحياة . فهذا الشعور وظيفة الوجدان . وإذا كان ديكارت يقول انا أفكر أذن أنا موجود فاعتقد أنه من الصواب أن أقول (أنا أشعر أذن أنا أعيش) فبدون هذه المشاعر والأحاسيس الوجدانية لا يعيش الفرد كانسان وإن كان بمقدوره أن يحيا ككائن حي .

ولهذا كان للشعر وسائر الفنون الراقية دور هام في سعادة البشر فهو يمنحنا الحلم الجميل والأمل الباسم . وحتى إذا لم يتحقق هذا الحلم او ذلك الأمل في الواقع فيكفي أننا سعدنا بهما زمنا .

- أثر الشعر على المبدع والمتلقي .

الشعر يعطي المبدع فرصة لتفريغ الانفعالاتوفلا يكتبها لتدمرة ولا يناقض أليها فيقع في المحظور بل أنه يسمو بمشاعره وانفعالاته إلى عالم الحق والخير والجمال فيبدع فنا جميلا يسعده ويسعد الآخرين . وللشعر أيضا على المتلقي أثر بالغ فهو يتأسى به عن مآسيه ويستمد منه الحكمة ويستخلص منه العبرة .

دور الشعر في حياة المجتمع

وللشعر دور في تغيير المجتمع إلى الأفضل فهو يحفز الهمم ينقي النفوس يزكيها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا ويساعد على

نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة لأنه يدعو إليها ويحث عليها ويبرز مزاياها ويوضح فضائلها هذا هو دور الشعر في الحياة أو هكذا ينبغي ان يكون .

ولهذا نجد الشعراء ألطف الناس طبعا وأرقاهم إحساسا وأنبلهم عاطفة وأعذبهم لفظا وأطيبهم نفسا .

ولهذا كان الشعراء جلساء الملوك وسمرائهم .

وإذا كـــان العمـــر الزمـــني للإنسان هو تلك الفترة الزمنية التي تبدأ بالميلاد وتنتهي بالممات فإن العمر الحقيقي له – فيما اظن – هو تلك الـــلحظات القليـــلة الـــتي يشعر فيها بالسعادة ويحس دبيب الحياة في اعماقـــة وســـريانها في وجدانة فتحلق روحة فى عوالم الابدية وكأنه يحـــتوى الوجود أجمعة وهذه لحظات صفاء روحي نادرة يولد خلالها الأبداع الأصيل .

واذكـــر إنـــنى ســـئلت يوما عما إذا لم اكن شاعرة فماذا كنت أود أن اكون؟

فكـــانت اجابتي التلقائية المؤكدة أنني افضل أن اكون شاعرة على أن أكون أميرة أو ملكة . وما زلت أعتقد ذلك

شكر واعتذار

نص الكلمة التي أرسلتها الشاعرة إلى الجماعة الأدب العربي بالإسكندرية أثناء مناقشة مسرحيتها الشعرية في ندوة خاصة والقاها عنها الأديب الشاعر / عبد اللطيف الجوهري ٨ / ٨ / ٢٠٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الاستاذ الشاعر الكبير / محمد رخا مؤسس جماعة الأدب العربي

حضرة الاستاذ الشاعر الاديب / عبد اللطيف الجوهري – السادة الأدباء محبى والأدب – تحية طيبة من الأعماق مقرونة باصدق الأمانى لكم جميعا بالصحة والسعادة والتوفيق والنجاح .

بداية الاعتذار عن عدم الحضور نظرا لبعد المسافة اولا ولظروف خاصة بى ثانيا:–

وكنت أود من كل قلبى حضور هذه الامسية التى تناقش فيها مسرحيتى الشعرية – الجميلة والعراف وأسعد بلقاء أعضاء جماعتى الأدبية التى اشرف بالانضمام اليها . والتى نوقش فيها العديد من أعمالى الشعرية السابقة اما مسرحية الليلة فهى تحكى قصة قريبة من

الواقع وقد تصورت مسرح أحداثها فى مدينة مصرية ما . وزمانها الربيع الاخير من القرن العشرين وتتلخص فكرتها فى أن الخداع والمكر السئ يضعان صاحبهما موضع التهلكة ويقودانه إلى الهاوية . ولابد أن يكون النصر للخير والقيم النبيلة .

وتعرض المسرحية من خلال الحوار قصة ثلاثة من الشباب أصدقاء التقوا في أحد النوادى بفتاة جميلة حالمة طيبة فهاموا جميعا بحبها وأصبحت حلما يداعب خيالهم وكان لكل منهم مسلكه الخاص فالأول الذى يملك المال والجاه فاز بخطبتها والثانى كتم مشاعره وتمنى لصديقة السعادة والثالث نقم على صديقة وشحذ مكره وخبثه وقرر أن يحصل على الفتاة بآى وسيلة وبل اعتبر أن سبق صديقة إلى خطبة الفتاة تعديا علية فقرر الانتقام منة بقتلة . ولكنة دفع ثمن تأمره وخداعه.(ولا يحيق المكر السيئ الإبأهلة) صدق الله العظيم

وفى سياق المسرحية نستعرض بعض عادات الشعب المصرى فى الزواج والحياة العامة . ونظهر الروح المصرية المرحة حتى فى أحلك الظروف والحقيقة أن هدفى من كتابة المسرح الشعرى كان

- ولايـزال .. هـو إحيـاء هذا الفن الصعب الذى يمثل ندرة على مسـتوى العالم العربى وإذا كان أمير الشعراء هو رائد هذا الفن فى الشـعر العربى فان الشعراء العرب الذين ساروا على نهجه فى كتابة الشـعر المسرحى يعدون على أصابع اليدين فى أحسن تقدير وأغلب هـولاء الشـعراء استخدموا الشعر الحر تيسرا على أنفسهم واعتقادا مـنهم أن هذا انسب للمسرح وقد فكرت أنا ايضا فى ذلك ولكن حبى لموسيقى الشعر الاصيل قادتنى إلى كتابة مسرحيتى بالشعر الموزون المقـفى ولكن باسلوب سهل . لأاريد أن اطيل عليكم بل سأترك لكم الحكم بعد القراءة والاستماع ولكن لى ملاحظة أود توضيحها آلا وهى - أننى لم اعتمد على قصة تاريخية أو أسطورة شعبية صيغت أحداثها ورسـمت شخصياتها وحدد الصراع بداخلها أى اننى لم أبن على بنية جاهزة بل اخترعت القصة باحداثها وشخوصها ثم صغتها شعرا فكنت بذلـك كاتبة قصة وشاعرة فى آن واحد وهذا فى اعتقادى أمر صعب وعمل شاق .

وبعد لا يسعنى فى النهاية الا أن أشكر لكم إهتمامكم بأدبنا ومناقشة مؤلفاتنا وتحملكم مشقة الحضور وندعو الله أن يجمعنا بكم فى مدينتكم

الرائعة الاسكندرية التى أحبها من كل قلبى وأن نكون عند حسن ظنكم بنا وتقبلوا تحياتى وشكرى وتقديرى

- والسلام عليكم ورحمة الله

اختكم

الشاعرة /نوال مهنى

-(انقباض) :-

و اقبل الليل . كان النهار يلملم أذياله ويتأهب للرحيل ويجمع آخر خطوطه من صفحة الافق .

وكان الظلام يقترب رويدا رويدا متمهلا فى خطوه ليبتلع آخر ما تبقى من أضواء النهار . وقد استحالت الشمس إلى قرص أحمر نارى كأنه إحدى جمرات جهنم .

لست أدرى . لماذا كنت أحس بانقباض شديد فى صدرى ورغبة عارمة فى البكاء لم أدر لها مبررا ولم استطع لها دفعا .

تجولت فى أرجاء البيت وفتحت دولاب ملابسى وجعلت أستعرضها واحدا واحدا فلم أجد ما يجذبنى إليها حتى فساتين المناسبات الخاصة التى صنعتها بإحكام وإتقان وتفننت فى تجميلها وانفقت الوقت والجهد فى تزيينها لم أعرها اهتماما .

أغلقت الدولاب ووقعت عيناى على البوم الصور تصفحته بلا اكتراث ثم القيت به بعيدا . قادتنى قدماى إلى المطبخ كنت أحس بالجوع بيد أنى لم أجد رغبة فى طعام أو شراب . وانتهى بى

المطاف إلى المكتبة مكانى المفضل – رحت اقلب رفوفها رأسا على عقب . اخترت بعض الكتب واتجهت لشرفة منزلى وارتميت على مقعد بلا مبالاة .

(لاجدوى فى شئ)

حاولت أن أقرأ فلم استطع . كان هناك إحساس بالا جدوى يسيطر على نفسى . لا جدوى فى شئ ولا جدوى من شئ .

لماذا أقرأ ؟ ولماذا اكتب ؟ بل لماذا اعيش ؟ وما معنى الحياة إذا كان لها معنى على الاطلاق .

تجولت ببصرى علنى أجد إجابة لتساؤلاتى الحائرة .

كان بصرى يرتد إلىّ اكثر حيرة . وتصطدم نفسى بعلامات الإستفهام فى كل اتجاه .

خلعت نظارتى والقيت بها بجانبى ووقفت اتنفس الصعداء .

حاولت أن أسرى عن نفسى ما بها من ضيق وكرب .

(تأمل فى الطبيعة)

كانت تمتد أمامى أربعة مناظر تتوازى فى خطوط طولية من الشمال إلى الجنوب وتتعامد فى قطاعات عرضية من الغرب إلى

الشرق أولها شارع الكورنيش المتسع الحافل بالحياة . وثانيها المنتزه الذى يكسوه العشب وتظلله الاشجار . وثالثها النيل الذى ينساب هادئا رزينا . ورابعهما الهضبة المطلة على ضفة النهر والتى تبدأ بها صحراؤنا الشرقية الشاسعة . وقفت أتفرس فى تلك المناظر الاربعة كان الشارع يعج بضجيج العربات وأصوات المارة وآلات تنبيه السيارات بشكل مزعج . وكان الكورنيش والمنتزه يموجان بالاطفال يلعبون والباعة الجائلين ينادون على بضاعتهم واصوات الغناء ونغمات الموسيقى تناسب من اجهزة التسجيل على عرباتهم .

وفجأة ... مر موكب جنائزى يتبعه صراخ المنتحبين وأنين الباكين وخفتت أصوات الغناء قليلا ريثما مر المواكب الحزين . ثم ارتفعت مرة ثانية . ولم ادر لماذا لم احفل بهذه الاصوات أو تلك ولماذا لم يثرنى مرور زينك المنظرين ؟ وتذكرت قول المعرى . غير مجد فى ملتى واعتقادى .... نوح بالك ولا ترنم شاد يالك من فيلسوف حكيم ....

ولكن ..... ما هى هنيهات قصيرة واذا بدموعى تنهمر كالسيل .
لقد تذكرت موت ابى وانهيار ذلك الحصن المنيع الذى كنت ألوذ به وأستند الية وجفاف ذلك النبع الفياض الدافق بالحنان والحب
حاولت ان أستوعب حقيقة الموت .. وقد استوعبتبعقلي ولكن أنيّ لمشاعري أن تستوعب فقد الاحباء وفراق الاعزاء .
ولكن .... ما جدوى الذكرى ؟ فما الذكرى الا تمزيق لجروح قد اندملت او كادت . لقد كان شيخ الشعراء اسماعيل باشا على حق حين قال :

اقصر فؤادى فما الذكرى بنافعةٍ

ولا بشافعةٍ فى رد ماكانا

(النيل والقارب)

افقت من هو اجسى على رؤية شراع يمر فى مجرى النهر تتبعه اشرعة صغيرة تتهادى فى بطء ودلال كأنها حمائم الفجر أو عرائس الشعر – كانت صفحة النهر تتلالا بانعكاسات ضوئية جميلة وكان النيل أحب المناظر جميعا إلى نفسى . فالفيتها مشدودة الية وكانة المعنيّ بالإجابة عن تساؤلاتى – ترى يا نيل ...

من أى عهد فى القرى تتدفق وبأى كف فى المدائن تغدق

لم يكن الأمير وحده عاشقاً للنيل بل اننى أعشقة مثله ولكم تمنيت لو كنت عروس النيل . وطاف هذا الحلم بخاطرى . فتصورت نفسى

(١) هاميس أو لا ميس . وهممت أن ألقى بنفسى إليه وأحتضن أمواجه الهائمة وأفتش فى أعماقه الدافئة عن جزيرة نائمة أو تميمه سحرية أوخبيئة ملكية – ما أروع هذه اللحظات الاسطورية القصيرة وما أروع هذه الحياة السريعة التى تشبه حياة الزهور أو فراشات الربيع فما العمر الاّ لحظة أو لحظات

(العمر لحظة)

ما جدوى أن يعيش المرء عشرات السنين يقضيها فى متاعب وهموم والكيد لهذا أو التفاق لذاك والتعلق بالمناصب وجمع حطام الدنيا والندم على هذه وتلك ؟ ثم ينسى فى غمره المشاكل والمشاغل ان يعيش . ويتذكر الأوقات التى عاشها بفكره وشعوره واصغى فيها لصوت الوجدان واستنشق فبها عبير الحرية وحقق فيها الصفاء الروحى فلا

يجدها الا لحظات قصار . هى فى الواقع عمره الحقيقى والباقى مفقود مفقود .

إن الانسان إذا عاش بجسده فقط فهو أشبه بحيوان لاهم له الا اشباع غرائزه – وإذا عاش بعقلة فقط فهو اشبه بالة صماء ولكن جوهر الانسان الحقيقى – فى اعتقادى – هو ذلك الوجدان أو تلك المشاعر التى تنبثق منها كل القيم السامية – الضمير – الرحمة – العدل – الحب – العطف – الشفقة – السلام – الصفاء – الحنان – الخ ..

إن الشعور الوجدانى هو أهم ما يميز الأنسان عن سائر الكائنات وكلما سما الانسان بمشاعره وارتقى بوجدانه صدرت عنه الفضائل فى بساطْ ويسير وكأنه مفطور عليها.

تأملات فى صفحة العمر

الإنسان والحياة :

الحياة لفظ عميق المعنى .. وهى القوة الكامنة فى جميع الكائنات التى تجعلها تحس وتتحرك وتتنفس وتفكر وتقرر وتبدع ، أى أنها تفجر فيها الغرائز وحينما نقول كائنات حية فهذا يعنى أنها تحيا أو تعيش الحياة .

والإنسان مثل جميع الكائنات – وإن كان أرقاها – يأتى إلى الحياة لقضاء فترة زمنية محددة . يعلم بدايتها ولكن كرماً من الله ولطفاً – لا يعلم نهايتها . " وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت"(١) ويأتى الإنسان إلى الدنيا وهو يحمل شهادة ميلاده أو بمعنى أصح وأدق يحمل شهادة وفاته على حد تعبير الوجوديين(٢) لأن حياته منتهية لا محالة فى يوم ما.

خطوط الزمن :

وصفحة العمر فى اليوم الأول للميلاد تكون بيضاء ناصعة ثم يبدأ الزمن فى رسم خطوطها إنها وثيقة معنوية تحمل صفات الإنسان من موروثات ومكتسبات – وتزداد الخطوط يوماً بعد يوم لتسجيل ما مر من العمر المحدد . وكلما ابتعدت عن خط البداية قربت من خط النهاية وهكذا حتى تصل إلى غايتها وتتوقف عند أجل مسمى يعلمه الله – ولكن الإنسان لا يعرف موعده .

ولا يريد أن يعرف – ولكن المرء مؤمناً كان أو ملحداً يدرك تماماً وعلى سبيل اليقين أن حياته طالت أو قصرت لابد أنها منتهية فى يوم ما وأعتقد أن ما يؤرق الإنسان ليس نهاية الحياة فهذه الحقيقة قد سلم بها تسليماً فلا سبيل إلى تغييرها أو الفرار منها .

ولكن ما يؤرقه حقاً هو تلك الخطوط التى يحفرها الزمن على جسده الضعيف فيصبح فريسة سهلة لهذا الوحش الضارى الذى يتربص به ويستهدفه دائماً حتى ينال منه مأربه تدريجياً .

ويبدو الإنسان فى صراع دائم مع الزمن وتظهر عليه علامات القهر والغلبة من هزال وانحناء وخمول وسقم يتبعه تغير فى الهيئة .

الإحساس بالزمن :

ومؤثرات الزمن لا تقتصر على الجسد المادى فقط فالإنسان كما نعلم يتكون من منفس وجسد وهما لا ينفصلان طيلة الحياة ويؤثر كل منهما فى الآخر ويتأثر به فضعف الجسد يؤدى إلى ضعف الحواس والذاكرة والإحساس بالألم وقرب النهاية يؤثران على مشاعر المرء وفقدانه البهجة والمرح ويسلبانه الحلم الجميل . ويألبان عليه المواجع والمتاعب فتتكاثر عليه الهواجس والشجون فيشعر بأفول نجمه وغروب شمسه وتتضافر آلام الجسد وعذابه مع هموم النفس وشجونها فى تأليف ملحمة أرذل العمر . والبطل المنتصر فيها دائماً هو الزمان والضحية المقهورة دائماً هى هذا الكائن الضعيف المسمى إنساناً – فيمسى ولسان حاله يقول :

(رمتنى الليالى عن قسى النوائب فما أخطئتنى مرسلات المصائب)[٣]

المرأة والزمن :

وهذا الإحساس الإنسانى من خوف وتوجس ورعب من بصمات الزمن المتوقعة وتقلباته المفاجئة ينطبق على المرأة والرجل على السواء ولكن يبدو أن إحساس المرأة بالزمن يكون أعمق أثراً وذلك لأن تقدم العمر بها يؤثر على جمالها ونضارتها ، فالجمال والنضارة مرتبطان بمرحلة الشباب وهما معاً من أهم القيم التى تتقوم بها المرأة فى كل زمان ومكان[٤] فينتابها إحساس بالحزن والكآبة وهى ترى صورة الكون وتحدق فى المرأة وتردد فى صمت :

أحدق كى أجتلى عالمى وفى مقلتى ذهول شديدْ
أرى الكون حقلاً شديداً البلى أمات ثماراً وحطم عودْ

ولذا تتألم المرأة كثيراً وينتابها الفزع حين ترى علامات الشيب وقد بدأت فى الظهور فى شعرها وخطوط الزمن وقد بدأت ترتسم على وجهها وقوامها وتحاول المرأة جاهدة تأجيل كل هذا وما وسعتها الظروف . وأسعفتها الإمكانيات أنها تخشى من شحوب لونها وذبول زهرتها غير أن محاولات المرأة المستميتة فى الاحتفاظ بشبابها وإن نجحت فى تأجيل بصمات الزمن لبعض الوقت فإن الزمن يتدخل وبشكل حاسم فى الوقت المناسب ليدق بضرباته العنيفة جميع الأبواب ويسحق بقبضته المخيفة بقايا الشباب . وحينئذ تظهر خطوطه واضحة جلية ويستحيل إخفاءها بأى وسيلة كانت .

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر ! كما يقول الشاعر القديم ربما استطاع العلم الحديث بعد هذا التقدم المذهل والتخصص الدقيق أن يجد من

الوسائل ما يعين المرأة على الاحتفاظ بجمالها وشبابها لفترة أطول أو يخفي أثار الزمن الكئيبة في حدود مقننة .

ولكن مهما بلغت جدوى هذه الوسائل فإنها أبداً لن تعود بالمرأة إلى سابق عهدها فعدوها الزمن مازال يشحذ أسنانه ويسن أظافره ويتأهب للانقضاض عليها ولن تفلت منه أبداً .

لحظة تأمل :

والتأمل في صفحة العمر يقودنا إلى حقيقة يعيها جيداً كل ذي لب وهي حقيقة الإيمان فالإيمان بالله يكسب صاحبه هدوء النفس وراحة القلب فيتجه عقله ووجدانه إلى الجمال المعنوي ويؤمن بأن التغير هو سنة الحياة. ولا سبيل غير الرضا والثقة بالله ويروض نفسه على تفهم أن لكل مرحلة عمريه جمالها الخاص واهتماماتها التي تناسبها . وبهذا يصحح مساره ويحدد خطواته ويجعل همه العطاء والمنح لا الأخذ والمنع فتسكن نفسه ويطمئن فؤاده ويعيش في سلام مع نفسه ومع العالم من حوله وهذا هو حصن الأمان فالرضا والسكينة يدوران مع الإيمان وجوداً وعدماً .

الهوامش :

[١] سورة لقمان الآية (٣٤) .
[٢] الوجودية اتجاه فلسفي يعتني بوجود الإنسان الفرد ومعاناته .
[٣] البيت لابن زيدون – ص ٢١٨ من الديوان .
[٤] الأبيات للشاعرة جليلة رضا ص ٨٤ ديوان (اللحن الباكي) .

الشاعر والسوقة

مسرحية نثرية :-من فصل واحد

(أول عمل نثري للشاعرة في مجال المسرح)

الشخوص حسب الظهور : -

١ – الشاعر – ش

٢ – المنظم – م

٣ – السوقي – سوقي

٤ – صاحب السوق – ص

٥ – زعيم المثقفين – الزعيم

تتكون المسرحية من فصل واحد وثلاث مشاهد

المشهد الاول

(بوابة كبيرة تؤدي الى السوق – يقف أمامها منظم ومعه بعض الفتيان لحفظ الامن وتنظيم الدخول والخروج – والناس يدخلون ويخرجون حاملين بضائعهم وسلعهم . . يتقدم رجل إلى الباب يبدو من هيئته الهدوء والبساطة والثقة بالنفس يهم بالدخول فيتصدى له المنظم ويستوقفه ويسأله)

الشاعر : – السلام عليكم وحمة الله .

م : – وعليكم – إلى أين يا رجل ؟

ش :– إلى السوق طبعا .

م : — وماذا تفعل بالسوق .

ش :— مثل ما يفعل كل من السوق .

م : — من بالسوق يبيعون ويشترون .

ش : — وأنا أيضا أبيع وأشتري

م : — ولكن لا أرى معك شيئا .

ش : — بل معي أشياء كثيره ولكنك لا تراها

م :— (ساخرا) أشياء كثيرة ولا ترى ؟ لعلك ألبست بضاعتك طاقية الاخفاء !!!

ش :— ربما .

م : — ربما !!! قف مكانك يا رجل ، لا بد أنك ساحر أو مجنون أو لص — أو — يا . . يا غلام .

— (يتقدم شاب قوي البنية صارم الملامح) .

سوقي : — أتنادى عليّ ؟

م :— خذ هذا الرجل إلى صاحب السوق فإني أرتاب في أمره (يتقدم السوقي إلى الشاعر ويمسك بزراعه)

ش — دعني يا هذا — (ينظر الى المنظم) لماذا تأخذونني ولم أرتكب خطأ ان من حقي أن أدخل السوق مثل جميع الناس.

السوقى — تعالى معى أيها الشاغب أمض إلى صاحب السوق .

م-	أنتظر ماذا كنت تفعل قبل أن تاتى إلى هنا ايها المجنون ؟
ش-	ينظر فى أسى: أشكو الزمان وأنسج الأحلاما [1] استروح الأعطار والأنساما لأزيل عن نفسى الكئيبة مابها وأثبت وجدا يشحذ الاقلاما كم بت أحمل ذى الهموم بكاهلى فعلام أوصم بالجنون علاما؟!!
م-	تترك أعمالك وتنشغل بهذا الكلام الفارغ ثم تاتى إلى السوق لتنشرة بين الناس حتى تصرفهم عن السعى إلى أرزاقهم ؟ أيها المجنون – اذهب به إلى صاحب السوق
السوقى	(يجذب الشاعر من ذراعه –) هيا أمض معى .
م-	انتظر . فتش ملابسة أولا .
السوقى –	(يتحسس ملابس الشاعر) ليس معه شئ –هيا (ينصرفان)

المشهد الثانى

(صالة كبيرة مرتفعة أشبه بالفرندة – تطل على السوق–
يجلس فى مقدمتها رجل ضخم وقد اتكأ على أريكة وأمامة

نرجيـــلة وحولـــة بعض التجار والأعيان – يدخل السوقى ومعه الشاعر ويتجهان إلى صاحب السوق)

السوقي – سيدي هذا الرجل مشاغب طويل اللسان يزعم أنه جاء يبيع

ويشترى وبالتفتيش لم نجد معه نقودا أو سلعا فأرتبنا فى أمرة

(صـــاحب الســـوق – يشـــير إلى الشـــاعر "(بعد ان ترك النرجيله واعتدل في جلسته .

ص– تقدم– من أنت وما عملك ؟

ش– أنا ضمير الشعب ولسان المجتمع – المعبر عن آمالة والحافظ لفنه وتراثه . أفجر نبع الأمانى فى الوجدان وازكى فيه نار الحماس وأشعل الثورات عند الخطر

ص– تشعل الثورات ؟ إذن انت معادى للنظام . الويل لك أنت تعترف انك تحرض على الفتن .

ش– أننى ارفض هذا الاتهام – دعونى أذهب إلى السوق كي أبيع وأبتاع .

ص– ماذا تبيع وتبتاع ولم نر معك شيئا من نقود أوسلع ؟

ش – أبيع الأمانى والأحلام والحب والأمل – أى أننى

أبيع السعادة .

ص – (ساخرا) تبيع السعادة .. ترى ... بكم كيلوا السعادة يا فيصيح زمانك ؟!

ش – السعادة لاتقدر بمال . فالمال دونها وإن اكثر . والمال وسيلة وهى غاية بل إنها غاية الغايات .

ص – دعك من هذا الهراء أتريد أن تهرب من التسعيرة حتى تغـــالى فى بضـــاعتك كما تريد .. ثم انك لم تخبرنى ما هويتك ومن تكون ؟

ش – إننى شاعر فقير – وهذه مشكلتى .

ص – أى مشكلة تقصد افصح .؟

ش – مشكلتى أننى مفطور على البراءة – أدعو إلى الأمل فى زمان اليأس وأبحث عن النور فى وسط الظلام واقدس الحب فى عصر الكراهية وأعشق الحق والخير والجمال واناضـــل ضـــد الباطل والشر والقبح وسيلتى البلاغة فى زمان الركاكة كى أوقظ الوجدان النائم والضمير الغافل والعقل الغائب حتى يعود إلى منابع الحياة ويرى جمالها .

ص– أى جمال يا مجنون بعد كل ما قلت ؟ أرنى أى جمال تتحدث عنة .

ش –	الجمال يا هذا موجود لانة من صنع الخالق الجميل ولكن الانسان فى هذا العصر لا يراه لانة مشغول بصناعة الشر وعبادة المال . الاتـــرى هـــذا الجمـــال فى زرقة البحر وخضرة لارض والوان الزهور واشراقة الشمس وعذوبة النهر وبديع صنع السماء .
ص –	(ينظر حوله ثم ينظر الى السماء)
الشاعر –	هل جئت الى السوق أم إلى المحكمة ؟
السوقي –	المحكمـــة – آه (يهمس في أذن صاحب السوق) سيدي أرسل به إلى المحكمة فلعل قاضي القضاء يودعه السجن .
ص –	حسنا ولكن ما تهمته ؟!
السوقي –	نقول : مثلا – انه جاء إلى السوق متنطعا دون أن يبيع أو يشتري .
ص –	ربما جاء للاتفاق على صفقة مع أحد التجار .
السوقي –	نقول مثلا انه كان يريد أن يبيع – بضاعته المزعومة التي لا ترى بأكثر من التسعيرة .
ص –	ولكنـــنا لـــم نضع تسعيرة لهذا الصنف من البضائع حتى يلتزم به .

السوقي – نقول مثلا أنه كان غارقا في الخيال والأوهام .

ص – لا يوجد نص في القانون يعاقب الناس على خيالهم وأوهامهم .

السوقي – (يفكر مغتاظا) سيدي من يدرينا أنه شاعر ربما كان مدعيا لماذا لا تختبره ؟

ص – حسنا – سأختبره – اسمع أيها الرجل ألست تزعم أنك شاعر؟

ش– يا هذا أنا شاعر بالفعل ولقد وهبني الله القدرة على التعبير عن مشاعري ومشاعر غيري ولقد ولدت شاعرا وأقول الشعر فطرة ثم اكتسابا وإبداعا ثم إبتداعا

ص – اذن سنرى – ماذا تقول شعرا في هذه السوق وما بها من ناس ؟

ش– (يطل على السوق من احدى نوافذ الصالة ثم يعود ويتجه لصاحب السوق)

السوق قد ملأت بالناسِ كالحشرِ

والناس داخلها من مطلعِ الفجرِ

أوقاتهم شغلت بالربحِ والسعرِ

من واقفٍ يقظٍ أو قادمٍ يجري

يدعو لسلعته في البيع – أو يشري

دنيا وساكنها دوما على سفرِ

ص–	رغم انني لم افهم شيئا ولكن يبدو أنه كلام جميل وله وقع خاص .
السوقي –	(يهمس في أذن صاحب السوق)
	سيدي أجعله يسطر لك هذا الكلام في لوحة لتزين بها هذا البهو في مدخل السوق كي يراها الزائرون فلقد رأيت بعض الوجهاء ممن عملت بخدمتهم يفعلون ذلك
ص –	حسنا حسنا – معك حق سأفعل ذلك.
ص–	[يلتفت إلى الشاعر] اسمع أيها الشاعر يبدو إنك رجل طيب ولذا سوف أشتري بعضا من بضاعتك رفقا بحالك فيكم تبيع هذا الكلام الذي قلته .
	أقصد هذا الشعر الذي قلته ؟
ش –	الشعر يا هذا لا يباع ولا يشترى ولكن يفهم ويحس ثم ...
ص –	ثم ماذا ؟
ش –	ثم يقدر حق قدره .
ص –	يفهم . . ويحس . . كيف ؟ لا عليك سأقدر شعرك وسأدفع لك اثنين أو ثلاث ...لا ... سأدفع لك خمس شلنات كاملة .

ش - أصمت يا رجل مالك أنت والشعر حتى تقدره أنني أريد مكافأة أعظم .

ص - يا لك من طماع وتدعي أنك رجل طيب - أذكر السعر الذي تريده .

ش - لا - لن أبيع شعري مطلقا - ولكني فقط سأتنازل لك عنه مقابل خدمة بسيطة .

ص - ما هي الخدمة التي تريدها سوف أؤديها لك فورا ؟

ش - أعرف أن لك جاها ودلالا في هذا البلد فأرسل بي إلى من يهمه أمر الشعر فلقد ضللت الطريق وغلقت دوني الأبواب وبح صوتي دون أن يصل اليه .

ص- سوف أرسلك إلى زعيم المثقفين - انه صديقي - ويزعم أنه يفهم جيدا كلام الشعراء والأدباء - ولقد أديت له خدمات كثيرة وأعتقد أنه لن يرفض لي طلبا (يلتفت إلى السوقي) يا غلام :أحضر العربة كي تذهب ومعك الشاعر إلى زعيم المثقفين (يرفع الشاعر يده بالتحية وينصرف برفقه السوقي)

(مكتب أنيق فخم يجلس أمامه حاجب يقوم وينحني للداخل والخارج ويجلس زعيم المثقفين في صدر المجلس وعلى يمينه ويساره بعض المستشارين وفوقة لافته مكتوب عليها زعيم المثقفين .

- ينظر الى الباب ويرقب الداخلين وهو يمسك سماعة التليفون .

الزعيم - نعم لقد وصل - انشاء الله - أي خدمة (يضع السماعة)

الشاعر - (يدخل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الزعيم - يقف (مسلما على الشاعر) وعليكم السلام تفضل (يشير اليه) أأنت الشاعر نفسه الذي أرسله صاحب السوق ؟

ش - نعم أنا الشاعر نفسه وذاته وعينه وكله وجميعه .

الزعيم - (ضاحكا) تريد أن تستعرض فصاحتك - حسنا لقد علمت بمشكلتك من صديقي وها أنا ذا أمامك فماذا تريد مني ؟

ش - أريد أن تصل أشعاري إلى من يتولى أمر القريض وأهله.

الزعيم عظيم - هيا اسمعنا اشعارك حتى تصل الينا .

ش- ماذا تحب أن تسمع ؟

الزعيم انظر من هذه النافذة وسترى حديقة جميلة تحيط بالمكتب وارسل بصرك بين الخمائل وقل لى ماذا ترى؟

ش– (يتقدم إلى النافذة وينظر بين الخمائل والأشجار متفحصا كل ما بالبستان وهو فى حالة تامل حالم –)

الزعيم ماذا رأيت بين الخمائل أيها الشاعر ؟

ش– (يتجه نحو الجالسين)

بين الخمائل كم أرى زهرا جميلا باسما
أو برعما في غفوه حاكي وليدا نائما
والغصن مال مهللا حيا نسيما قادما
أوراقه ذات الندى خضراء تزهو دائما
وحفية لما علا جاب الربي مترنما
والعشب هام مناجيا وردا رقيقا حالما
وبدا الفراشُ مرقّشا للنور يهفو هائما
والطير يشدو راقصا بالحسن صبا مغرما
ذا جدول " مترقوق " يسري شفيفا حالما
قد شاقه همس الشذي في خلسة – متكتّما
حتى تتأثر في المدى يغزو الفضا والأنجما

الزعيم – الله – أحسنت أيها الشاعر الرقيق (يلفت إلى مستشاريه) ما رأيكما ؟

الاول – لبقد أجاد في الصور وأبدع في الموسيقا .

الثاني – والله ما أحسن ما قال يبدو أنه شاعر مطبوع .

الزعيم– لبقد أقرت اللجنة بشا عريتك وجودة إبداعك فما الجائزة التي تريدها وسوف تحصل عليها فورا ؟

ش – انمــا جائــزتي يــا سيدي يا زعيم المثقفين هي أن تجعل للشــعر والشــعراء مكانا في خريطة المجتمع كي يتبأون مكانتهم على خريطة الزمان والمكان حتى تعرف أقدراهم وتصان حرياتهم وتحفظ أقلامهم فلا يحاسبون ويحاكمون ويعاقبون على خيالاتهم و أحلامهم . بغير سند قانونى

الزعيم– سنحاول أن نفعل ذلك إن شاء الله حينما تتوافر الإمكانيات وتتاح الفرصة (ينظر في ساعته ثم يقف – فيقف الجميع) عفوا .لدينا موعد هام فما المكافأة التي تريدها ؟

ش – أريد أورقا .

الزعيم – ثم ماذا ؟

ش – ثم أقلاما – كي أكتب شعرا .

الزعيم – حسنا سأصدر الأمر بصرف الأوراق والأقلام لك . فقط عــليك أن تكــتب الطلب باسمك وتوجهه لزعيم المثقفين وتتقدم به للجهة المختصة ولا تنسى ان تضع عليه الدمغة (ينصرف الزعيم وخلفه مستشاريه)

ش – يخرج ويردد في صوت خافت أمام مكتب الزعيم)

مــن أيــن لـــي بثمن الدمغة ؟ كي أحصل على الأوراق
والأقلام كي أكتب شعرا

تمت

نبذة عن المؤلفة

الشاعرة / نوال مهني أحمد ابو زيد من أبناء محافظة المنيا

تخرجت في كلية الآداب – قسم الفلسفة وعلم النفس – جامعـــة المنيا – عملت بعد تخرجها في وزارة التربية والتعليم المصرية معلمة للمواد الفلسفية والعلوم الانسانية للمرحلة الثانوية ثم تركت التدريس إلى الاشراف على الصحافة المدرسية بنفس الوزارة . وهي أيضا موجهة للنشاط الثقافي بمركز سوزان مبارك للفنون والآداب بجامعة المنيا .

وللشاعرة نشاط في المجال الاعلامي ؛ فهي كاتبة مادة ومعدة برنامج في إذاعـــة وتـــليفزيون شمال الصعيد . وهي معتمدة كشاعرة على مستوى جميع الاذاعات المصرية وقدمت عشرات البرامج الناجحة ذات الصبغة الادبية .

ومن أشهر البرامج التي قدمتها للاذاعة ولاقت نجاحا كبيرا :

١ – رحـــلات ابـــن بطوطة – عمل درامي قدم خلال شهر رمضان في شكل حوار ممتع وشيق .

٢ – البندورة المسحورة برنامج سياحي ثقافي للأطفال يقدم المادة التاريخية للأطفال بأسلوب بسيط جذاب .

٣ – برنامج أصل الحكاية ، ويقدم المعلومة العلمية للطفل في صورة مبسطة من خلال شرح الاشياء والرجوع إلى أصلها ومراحل تطورها حتى يألف الطفل العالم من حوله ويتعرف على الأشياء معرفة صحيحة .

٤ – مجموعة الفوازير الثقافية على مدار سنوات متصلة خلال شهر رمضان المبارك وكانت تكتب رجلا وتذاع يوميا .

٥ – برنامج حورا بالأشعار الذي استمر يذاع على مدار ثلاث سنوات ويقدم حوارا شعريا مفترضا (فبركة) بين شاعرين ربما من عصرين مختلفين حول قضية ما مثل وصف الطبيعة أو الحب والحزب والهجر والعتاب والوطن والرسائل والربيع والحزن والفرح والمديح وفضل الأم وفضل العلم إلى آخر موضوعات الحياة ورأي الشعر فيها – وقد قدمت الشاعرة معظم الشعراء العرب من خلال هذا البرنامج .

كذلك قدمت للتليفزيون عدة أعمال ناجحة بعضها إعداد وبعضها تأليف شعرا ونثرا أهمها :

١ – فوازير : توت حاوي توت : عبارة عن حوارات بالزجل بين الاطفال والحاوي حول الكرة الأرضية والدول المختلفة .

٢ – برنامج نسائي : أسبوعي بعنوان يا بنت بلدي كتبت مادته شعرا ويقدم الصورة المثالية للمرأة في المجلات المختلفة .

كما دواوينها الشعرية مقررة في قائمة مكتبات المدارس الثانوية بوزارة التربية والتعليم المصرية على مستوى الجمهورية .

وتنتشر الشاعرة إبداعها شعرا ونثرا من خلال الاذاعات والصحف والمجلات المصرية والعربية وقد حصلت على عدة جوائز وشهادات تقدير من جهات مختلفة ، كما اقيمت عشرات الندوات والأمسيات الشعرية لتكريمها ومناقشة دواوينها في القاهرة والاقاليم شارك فيها كبار النقاد والشعراء وكتبت عنها عشرات الدراسات من الأساتذة والنقاد التخصصين لتقييم تجربتها الإبداعية وقد نشر معظمها في الجرائد والمجلات وأذيع بعضها في البرامج الإذاعية المتخصصة .

وقد اشتهرت الشاعرة بلقب (شاعرة الصعيد) نسبة إلى الصعيد المصري الذي تنتمي اليه وأصبح هذا اللقب أشبه باللازمة التي تذكر كلما ذكر أسمها في الندوات والجرائد وحتى في المراسلات الرسمية .وكذلك لقّبت بشاعرة الوادى

النشاط الأدبي للشاعرة :-

١ – عضو اتحاد كتاب مصر .

٢ – عضو رابطة الأدب الحديث وجماعة أبو للو الجديدة (القاهرة)

٣ – عضــو جماعة ملتقى الاربعاء – بنقابة الصحفيين المصرية (القاهرة)

٤ – عضو جماعة شعراء العروبة (القاهرة) .

٥ – عضو جماعة الأدب العربي (الاسكندرية) .

٦ – عضو جماعة سيد درويش (القاهرة).

٧ – عضو جماعة الوسطية (بالمنيا والقاهرة)

٨ – عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية .

٩ – عضو نادي الأدب بقصر الثقافة (المنيا)

١٠ – رئيسة لجنة الأدب بجمعية محبى الفنون والأداب (المنيا)

مؤلفات الشاعرة :

١ – نبع الوجدان – ديوان شعر صدر عام ١٩٩١ م

٢ – أغاريد الربيع – ديوان شعر صدر عام ١٩٩٣ م .

٣ – الفــارس والاميرة : مسرحية شعرية صدرت عام ١٩٩٥ وتحكي ملحمة العبور وحرب أكتوبر المجيدة .

٤ – ذات مرة – ديوان شعر صدر ١٩٩٨ م

٥ – الجميلة والعراف : مسرحية شعرية صدرت عام ٢٠٠٠ م

٦ – سلسلة رحلات ابن بطوطة للأطفال وصدرت في ثمانية أعداد عام ١٩٩٩ م .

٧ – سلسلة أصل الحكاية للأطفال وصدر منها خمسة أعداد عام ١٩٩٩م.

٨ – أغاني الطفولة – ديوان شعر للأطفال – صدر عام ٢٠٠ م .

٩-أوراق شاعرة -مقلات نثرية صدر عام ٢٠٠١م

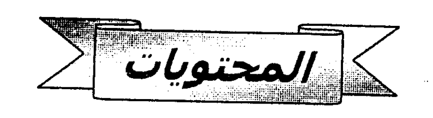
١٠-موال من بلدى ديوان زجل صدر عام ٢٠٠١م

تحت الطبع

١ – (سلسلة حذز فزر) ألغاز شعرية للأطفال .

٢ – أنا شيد الطفولة – ديوان شعر – للأطفال .

٣-فيض الأشجان – ديوان شعر


المحتويات

رقم الإيداع : ١٣٤٣٤ / ٢٠٠١

I.S.B.N. 977-248-144-8

دار حراء
للطباعة والنشر
٢٠ ش ٦ أرض سلطان – المنيا
ت: ٠٨٦٣٣٦٤٧٨٧